

الجزء الثاني

يحتوي هذا الجزء على خطب متنوعة وخطبة عيد الأضحى

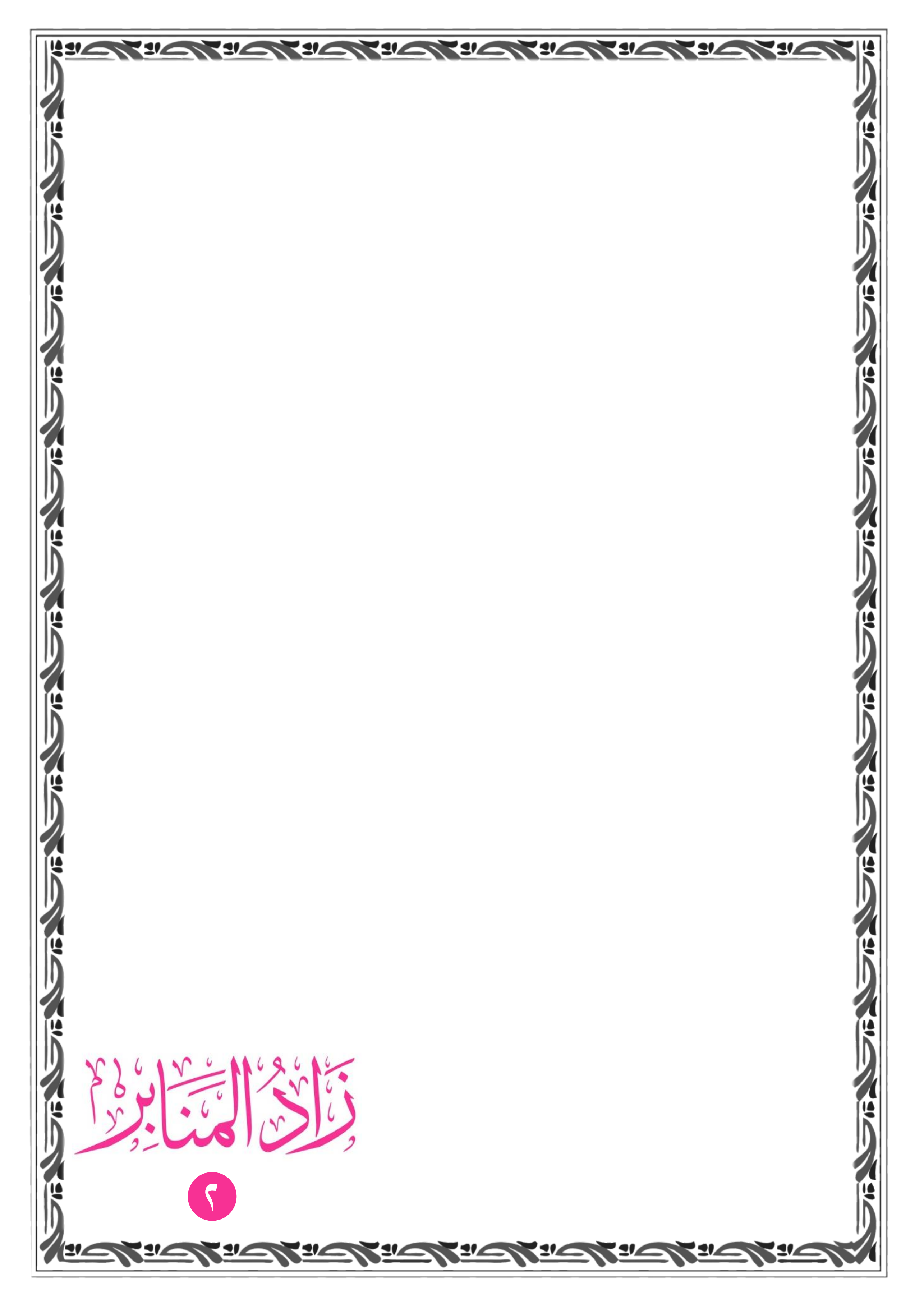




تأليف

عَبْد الرَّزَّاق بن فَاضِل الرَّبِيعِيّ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين


زاد المنابر



- **اسم الكتاب:** زاد المنابر - الجزء الثاني -

- **اسم المؤلف:** عبدالرزاق بن فاضل الربيعي

- **عدد الصفحات:** ٢٧٤

- **المقاس:** ١٧ X ٢٤

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

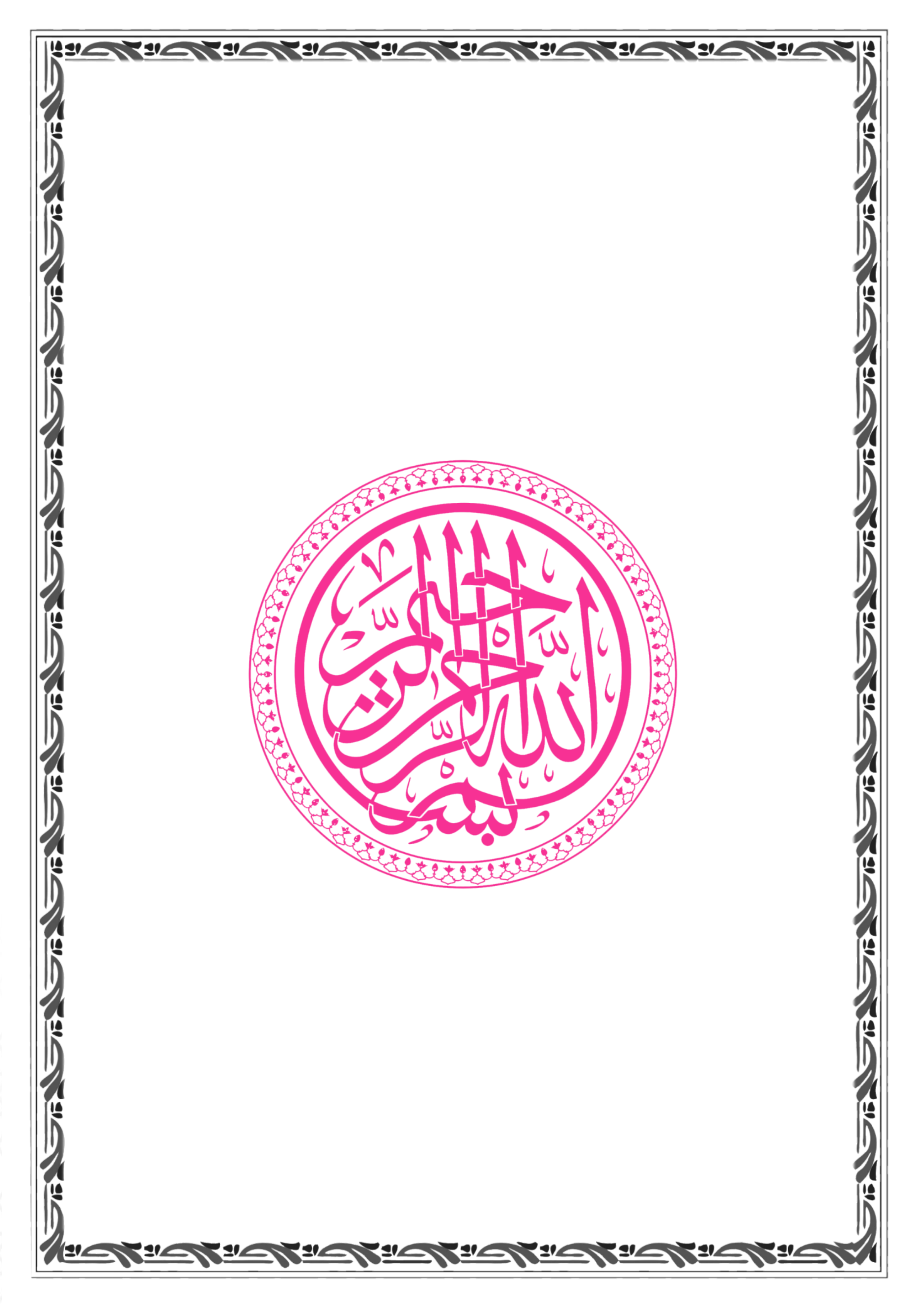


يحتوي هذا الجزء على خطب متنوعة وخطبة عيد الأضحى

تأليف

عبد الرزاق بن فاضل الربيعي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الذي علَّمَ عبادَه البيان، وألهَمَهُم التِّبيان، أحمدُهُ علىٰ ما أسبغَ من العطاء، وأَسْبَلَ من الغطاء، وأعوذُ بالله من شِرَّةِ اللَّسَنِ وفضول الهَذَر، كما أستعيذُ به من معرَّةِ اللَّكنِ وفضوح الحَصَر.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله، شهادةً محصِّلةً للغفران، منقذةً أصحابها من النيران، مُوصِلةً إلىٰ سُكنىٰ الجنان.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، أفصحُ الخلق بيانًا، وأشرفهم قدرًا ومكانًا، وأحسنُهم نُصحًا وتبيانًا. صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه خطبٌ محبَّرة، ومواضيع مسطَّرة، كُتبت بأسلوب يُناسب الخطباء بصنفيهم:

فالخطباء ارتجالًا تغنيهم عن التحضير من غيرها وتكفيهم، والخطباء من الورق أرجو أنَّ المكتوبَ يُناسبهم ويُواتيهم،

إذ جُمعَ فيه بين إيراد الأدلة والنصوص، مع شرحٍ وتوضيحٍ لكل موضوع مخصوص.

وقد تعمَّدَ كاتبُها أن يجعلها في أجزاء صغار، ليسهل حملُها في الأسفار، ونشرُها في الأقطار، ولا تُتعِبُ الخطيبَ عند الإلقاء، ولا تُثقل كاهل المقتني عند الاقتناء.

وقد سميتُ هذه السلسلة: **«زاد المنابر»** راجيًا إلهي أن ينفع بها البادي والحاضر، وأن يجعلها للخطيب والسامع من خيرة الذخائر.

وأسألُ اللهَ أنْ ينفع بها الخطيبَ والسامع، وأنْ يُيسِّرَ انتشارَها في الجوامع والمجامع، وأن يجعلها في القيامة نِعمَ الشافع.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الذخيرة – حرسها الله ، وسائرَ بلاد المسلمين = آمين.



محتويات الجزء الثاني

فِي هذا الجزءِ مواضيعُ متفرقةٌ وخطبةُ عيدِ الأضحىٰ، وترتيبُها كالتالي:

١- الثقة بالله.

٢- أهميةُ البركةِ وبيانُ بعضِ أسبابها.

٣- أهمُّ أسبابِ حفظِ النعم.

٤- البيانُ لبعضِ بركاتِ القرآن.

٥- عين بَكَتْ من خشيةِ الله.

٦- حكم تعليق التمائم، وبيان أنواعها.

٧- أضرارُ الحسد علىٰ الدين والعقل والجسد.

٨- دوافعُ الحسدِ وأسبابُ علاجِه.

٩- حفظُ النفسِ ضرورة شرعية ومصلحة اجتماعية.

١٠- أهميةُ المحافظةِ علىٰ صلاةِ الجماعة.

١١- الأدلة الواضحات علىٰ تحريمِ وخطورة المخدِّرات.

١٢- تحذيرُ أهلِ الإيمان من اتباعِ خُطواتِ الشيطان.

١٣- خطبة عيد الأضحىٰ بعنوان: [الوصيةُ بالتقوىٰ وأعمالِ عيد الأضحىٰ].





١- خطبة جمعة بعنوان/

[الثقة بالله]

الحمدُ لله حمدَ الواثق بعظيمِ فضلِهِ وجزيلِ عطائه، أحمدُهُ مِلء أرضه وسمائه، وأشكرُه علىٰ أفضالِه وآلائه.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ، شهادةَ مُوحِّدٍ مُسلِم، وأدعوه دُعاءَ مؤمِّلٍ مُسَلِّم:

يـا مـن يُرجَّـى للشـدائِد كلِّها	يـا مَـن إليـه المُشـتكَى والمَفـزَعُ
يـا من خزائنُ رِزْقه في قولِ كُن	امـنُنْ فـإنَّ الخـيرَ عنـدَك أجمـعُ
مـا لـي سِوَى فقرِي إليك وسيلةٌ	فبالافتقـار إليـك فَقْـري أدفـعُ
ما لـي سوى قَرْعِي لبابِك حِيلةٌ	فلـئنْ رُدِدْتُ فـأيِّ بـابٍ أقـرعُ
ومَن الـذي أدعُـو وأهْتِـف باسمِه	إنْ كـان فَضْلُكَ عـن فقيرٍ يُمنعُ
حاشا لجودِك أنْ تُقنِّطَ عاصياً	الفَضْـلُ أجْـزلُ والمَواهـبُ أوسـعُ[١]

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، خيرُ الواثقين بالله، وأحسنُ الخلقِ توكُّلًا علىٰ خالقِه ومولاه، صلواتُ الله وسلامُه عليه ما تحركتِ الشِّفاه، ونطقَتِ الأفواه، وعلىٰ آلِهِ وصحبِه ومن والاه.

(١) سيرة ابن هشام ت السقا (مقدمة/ ٢٠) من قول السهيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ في السرِّ والعلَن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[١].

مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ ورسوله فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللهَ شَيْئًا.

عبادَ الله: خطبةُ اليوم عنِ الثقةِ باللهِ، وما أدراكمْ ما الثقةُ بالله!

إنها سَوَادُ عَيْنِ التَّوَكُّلِ، وَنُقْطَةُ دَائِرَةِ التَّفْوِيضِ، وَسُوَيْدَاءُ قَلْبِ التَّسْلِيمِ[٢].

الثقةُ بالله: يحتاجُها المسلمُ في استنزالِ المطالبِ والرحماتِ، وفي استدفاعِ المصائبِ والمُلمَّات، فيثقُ باللهِ في كلِّ شؤونِ حياتِه، وكيف لا يثقُ باللهِ وهو الذي تكفَّلَ برزقهِ وحِفْظِهِ منذ كان في بطنِ أُمِّهِ جنينًا، ثم في المَهْدِ رضيعًا، ثم طفلًا صغيرًا، فلماذا ينسىٰ خالِقَه الوهَّاب، بعد أنْ بلغَ سنَّ الشَّباب، ومكَّنه من الوسائلِ والأسباب.

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٣٠ ط عطاءات العلم).

وقد رُوِيَ عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال للحواريين: يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ، إِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ فِي الدُّنْيَا فِي أَرْبَعِ مَنَازِلَ، هُوَ فِي ثَلاثٍ مِنْهُنَّ بِاللهِ وَاثِقٌ، حَسَنٌ ظَنُّهُ فِيهِنَّ بِرَبِّهِ، وَهُوَ فِي الرَّابِعِ سَيِّئٌ ظَنُّهُ بِرَبِّهِ، يَخَافُ خِذْلانَ اللهِ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ.

فَأَمَّا الْمَنْزِلَةُ الأُولَىٰ: فَإِنَّهُ خُلِقَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ: ظُلْمَةِ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةِ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةِ الْمَشِيمَةِ، يُنَزِّلُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فِي جَوْفِ ظُلْمَةِ الْبَطْنِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْبَطْنِ وَقَعَ فِي اللَّبَنِ، لا يَخْطُو إِلَيْهِ بِقَدَمٍ، وَلا يَتَنَاوَلُهُ بِيدٍ، وَلا يَنْهَضُ إِلَيْهِ بِقُوَّةٍ، وَلا يَأْخُذُهُ بِحِرْفَةٍ، يُكْرَهُ عَلَيْهِ إِكْرَاهًا، وَيُؤْجَرُهُ إِيجَارًا، حَتَّىٰ يَنْبُتَ عَلَيْهِ عَظْمُهُ، وَلَحْمُهُ ، وَدَمُهُ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنِ اللَّبَنِ، وَقَعَ فِي الْمَنْزِلَةِ الثَّالِثَةِ، فِي الطَّعَامِ بَيْنَ أَبَوَيْهِ يَكْتَسِبَانِ عَلَيْهِ مِنْ حَلالٍ وَحَرَامٍ، فَإِنْ مَاتَ أَبَوَاهُ عَنْ غَيْرِ شَيْءٍ تَرَكَاهُ، عَطَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ، هَذَا يُطْعِمُهُ وَهَذَا يَسْقِيهِ، وَهَذَا يُؤْوِيهِ، وهذا يَكسوه.

فَإِذَا وَقَعَ فِي الْمَنْزِلَةِ الرَّابِعَةِ، فَاشْتَدَّ وَاسْتَوَىٰ، وَكَانَ رَجُلًا، خَشِيَ أَنْ لا يَرْزُقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فَوَثَبَ عَلَىٰ النَّاسِ يَخُونُ أَمَانَاتِهِمْ،

وَيَسْرِقُ أَمْتِعَتَهُمْ، وَيَخُونُهُمْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ مَخَافَةَ خِذْلانِ اللهِ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ(١).

الثقةُ باللهِ من صفاتِ الأنبياء: فهي في فعلِ الخليلِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين وضعَ امرأتَه وولدَها في صحراءِ مكةَ حيثُ لا أنيسَ ولا جليسَ من البشر؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أَوَّلُ مَا اتَّخَذَتِ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَىٰ سَارَةَ(٢)، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّىٰ وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّىٰ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْمَوْضِعِ، لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟

---

(١) المحاسن والأضداد (ص/ ١٥٣). والقناعة والتعفف لابن أبي الدنيا (ص/ ٥٧).

(٢) المنطق: ما يُشد به الوسط في بدن الإنسان. وتعفي: معناه تُخفي أثرها علىٰ من يتعقبها عند مشيها. وسبب اتخاذها المِنْطَق موضح في شروح الحديث. يُنظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٩/ ٣٩٤)، ومنحة الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٤٤٦).

فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟

قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذًا لَا يُضَيِّعُنَا.

ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾»[(١)].

ولا تدري عند قراءةِ هذه القصةِ ممَّ تعجبُ؛ من ثقةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عند أنْ وضعَ ابنَه وامرأتَه في ذلك المكان، أم مِنْ ثقةِ أمِّ إسماعيلَ بربِّها سبحانه؛ عند أنْ قالت: آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذًا لَا يُضَيِّعُنَا!

عبادَ الله: إننا نحتاجُ إلى الثقةِ باللهِ في كلِّ شؤونِ حياتِنا، فيحتاجُها الداعيةُ عند إعراضِ الناسِ عن دعوتِه، وشدةِ مؤاذاتِهم

---

(١) رواه البخاري (٣١٨٤) وعبد الرزاق في المصنف (٩١٠٧)، والآية في سورة إبراهيم: ٣٧].

له، ومثالُها في قولِ نوحٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومِه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾[1].

الثقةُ باللهِ يحتاجُها المسلمُ عند تكالُبِ الأعداء، واشتدادِ البلاء، ومثالُها في جوابِ هودٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند أنْ قال له قومُه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾[2].

ثِقْ باللهِ جلَّ في عُلاهُ يا مَنْ تأخَّرَ عنه الإنجاب، وتعسَّرتْ عليه الأسباب، وطرقَ جميعَ الأبواب، فإنَّ العطاء بيدِ اللهِ الوهاب، ولك أُسوةٌ في قولِ إبراهيمَ الخليلِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وقد جاوزَ الثمانين

---

(١) [سورة يونس: ٧١].

(٢) [سورة هود: ٥٤ - ٥٦].

من عُمُرِه: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ فقال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾(١).

حتىٰ إنَّ امرأَةَ الخليلِ تعجَّبَت، وصكَّتْ وجهَها وتساءلت: من أين يأتي الولدُ في هذا السِّن؟ فتُجيبُها الملائكةُ: هذا فضلُ الكريمِ المُحسِن، قال تعالىٰ: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ٣٠﴾(٢).

قيل: إنها يومَها كانتْ ابنةَ ثمانٍ وتسعينَ سنةً، وكان إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ابنَ تسعٍ وتسعين سَنةً(٣).

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: اللهُ الذي قدَّر ذلك وأمضاه، فلا عجَبَ في قُدرةِ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ٣٠﴾ أي: الذي يضعُ الأشياءَ مواضِعَها، وقد وسِعَ كلَّ شيءٍ علمًا فسلِّمُوا لحُكمِه، واشكروهُ علىٰ نعمتِهِ(٤).

---

(١) [سورة الصافات: ١٠٠ - ١٠١].

(٢) [الذاريات: ٢٩ — ٣٠].

(٣) لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٣/ ٤٦٧).

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص٨١٠).

ومن أمثلةِ الثقةِ باللهِ؛ وإن تعطلت الأسباب، وتأخَّر الإنجاب؛ قولُ زكريا الأواب، راجيًا عطاءَ الملكِ الوهاب، بعد أنْ رأىٰ رزقَ مريمَ في المحراب: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠﴾(١).

الثقةُ باللهِ عندَ الكُرُباتِ والأخطار، مثالُها في قولِ الخليلِ حين أُلقيَ في النار، حيثُ قال: حسبي اللهُ ونِعْمَ الوكيل، فأكرمه اللهُ الرحيم، بقولِهِ الواضحِ والحكيم: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾(٢).

الثقةُ باللهِ مع ضَعفِ الحال، وتبدُّلِ الأحوال، مثالُها في فعلِ أُمِّ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ إذْ ألقَتْ ولَدَها في اليَمِّ، بعد وضْعِهِ في تابوتٍ

---

(١) [سورة آل عمران: ٣٨ – ٤٠].

(٢) [سورة الأنبياء: ٦٩].

مُحْكَم، تنفيذًا لأمرِ الله، وثقةً بحفظِه جلَّ في عُلاه، قال الله عنها: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِنَّ فِعْلَهَا هَذَا هُوَ عَيْنُ ثِقَتِهَا بِاللهِ تَعَالَىٰ، إِذْ لَوْلَا كَمَالُ ثِقَتِهَا بِرَبِّهَا لَمَا أَلْقَتْ بِوَلَدِهَا وَفِلْذَةِ كَبِدِهَا فِي تَيَّارِ الْمَاءِ، تَتَلَاعَبُ بِهِ أَمْوَاجُهُ، وَجَرْيَاتُهُ إِلَىٰ حَيْثُ يَنْتَهِي أَوْ يَقِفُ»[٢].

الثقةُ بالله مطلوبةٌ عند فَقدِ الأحباب، وتآمرِ الأقاربِ والأصحاب، ومثالُها المكتوب، في فعلِ نبيِّ اللهِ يعقوب، وهو يُقاسي تلك الكروب، ويُواجهُ تلكَ الخطوب، بالثقةِ في علَّامِ الغيوب، حيثُ قالَ وقوله بالأمَلِ مصحوب: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[٣].

---

(١) [سورة القصص: ٧].

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٣٠ ط عطاءات العلم).

(٣) [يوسف: ٨٧].

فلم ينقطعْ أملُه بالله، ولم تنقصْ ثقتُه في خالقِهِ ومولاه، بل بقي راجيًا مؤمِّلًا حتىٰ عادَ إليه يوسفُ وأخوه، وقد اتهموه بما اتهموه، وبئس ما بِه وصفوه، وقد حكىٰ الله قوله لهم وما في حقه قالوه:

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦﴾[١].

الثقةُ باللهِ يحتاجُها المسلمُ عند اشتدادِ البلاء، وتكالُبِ الأعداء، ومثالُها في حالِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع صاحبِه في الغار، عند أنْ رأىٰ أبو بكرٍ أقدامَ الكفار، فخافَ علىٰ النبيِّ المختار، وحِوار الاثنين، مرويٌّ في الصحيحين، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَىٰ أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ رُؤوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ

(١) [سورة يوسف: ٩٣ – ٩٦].

إِلَىٰ قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ! فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»(١).

قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾(٢).

عباد الله: متىٰ نحتاجُ إلىٰ الثقةِ بالله؟ وكيف نحققُّ هذه العبادةَ العظيمةَ، النافعةَ لأصحابِها في الدُّنيا والآخرة؟

الجواب: نحتاجُ إلىٰ الثقةِ بالله في كلِّ شؤون حياتِنا، ويتعينُ علينا تحقيقُها واستحضارُها في أمورٍ كثيرةٍ، ومنها:

عند الدعاء، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١) وابن حبان (٣٢٠٤).

(٢) [سورة التوبة: ٤٠].

(٣) [سورة البقرة: ١٨٦].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»(١). فإذا دعوتَ اللهَ فأحسنِ الظنَّ بالله، وحسنُ الظنِّ بالله عند الدعاء هو رجاءُ الإجابة، والثقة في الاستجابة.

وعند السعي في كسْبِ الأرزاق، فيثق المسلمُ بربه الكريمِ الرزَّاق، ويتذكر أنَّ رزقَه مكتوب، وأنَّ عطاءَ اللهِ له موهوب، وأنَّ ما كتبَه الله له فلن يفوت، فلا يقبلُ الحرام ولو لم يجدْ إلا القوت، ولا يكسبُ المال المشبوه، بل يأخذ المال من حلِّه بأطيب الوجوه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾(٢).

فإذا كان الرزقُ مكتوبًا فلا داعي للقلقِ والخوف، بل ينبغي الصبرُ والثقةُ بالله في شتَّىٰ الظروف، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أنّ نَفْسًا لنْ تَمُوتَ حتّىٰ تَسْتَكْمِلَ

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٩) وأحمد (٦٦٥٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥) وأحمد شاكر في تحقيق سنن الترمذي (٣٤٧٩).

(٢) [سورة هود: ٦].



أجَلَها وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَها فاتّقُوا الله وأجْمِلُوا فِي الطَّلبِ وَلَا يَحْمِلنَّ أحَدَكُمُ اسْتِبْطاءُ الرِّزْقِ أنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ الله فإنّ الله تَعَالَىٰ لَا يُنالُ مَا عِنْدَهُ إلاّ بِطاعَتِهِ»(١).

فلا تيأسَنَّ علىٰ الرزقِ فهو آتيك، ولا تسلُكَنَّ في طلَبِهِ أسبابًا لا تجوز ولا تواتيك:

وَاللهُ واللهِ أيْمَانٌ مُكَرَّرَةٌ ... ثَلاثَةٌ عَنْ يَمِينٍ بَعْدَ ثَانِيهَا

لَوْ أَنَّ في صَخْرَةٍ صَمًّا مُلَمْلَمَةٍ ... في البَحْرِ رَاسِيَةٌ مِلْسٌ نَوَاحِيهَا

رِزْقًا لِعَبْدٍ بَرَاهَا اللهُ لانْفَلَقَتْ ... حَتَّى تُؤدِي إلَيْهِ كُلَّ مَا فِيهَا

أَوْ كَانَ فَوْقَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَسْلَكُهَا ... لَسَهَّلَ اللهُ في المَرْقَى مَرَاقِيهَا

حَتَّى يَنَالَ الذِي في اللَّوحِ خُطَّ لَهُ ... فَإِنْ أَتَتْهُ وإلا سَوفَ يَأْتِيهَا (٢)

والثقةُ بالله مطلوبةٌ عندَ المرضِ، فلا تَجزعنَّ وإنْ عظُم المُصابُ واشتدَّ البلاءُ، ولا تتشاءمْ وإن ذُقتَ مرارة الألمِ وتعسَّرَ دواءُ الداء، فالمريضُ تُرجىٰ له العافيةُ ما لمْ يقطعْ منها أملَه، وانظرْ إلىٰ قصةِ

---

(١) أخرجه البيهقي (١٠١٨٥)، وابن حبان (٣٢٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٠٨٥) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وبنحوه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣٣٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (١/ ٢٢٣).

الأعرابيِّ الذي تشاءم ماذا حصَلَ له؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل علىٰ مريض يعوده قال لَهُ: «**لَا بَأْسَ، طَهور إِنْ شَاءَ اللهُ**». قَالَ: طَهور؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّىٰ تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَىٰ شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَنَعَمْ إذاً**»(١). وفي رواية فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا إِذْ أَبَيْتَ، فَهِيَ كَمَا تَقُولُ، وَمَا قَضَىٰ اللهُ فَهُوَ كَائِنٌ**» قَالَ: فَمَا أَمْسَىٰ مِنَ الْغَدِ إِلَّا مَيِّتًا (٢).

والثقةُ باللهِ مطلوبةٌ حتىٰ عند الموتِ، فمَنْ ظنَّ باللهِ خيرًا لقيَ خيرًا، ومَنْ ظنَّ باللهِ غيرَ ذلك فقد تسبَّبَ في جلبِ الوبالِ علىٰ نفسِه، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٣٣٨).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٣٦٦) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٧٢١).

(٣) رواه مسلم (٢٨٧٧).

وفي كل شيءٍ لا تفقِدْ ثقتَك باللهِ -أيُّها المسلمُ الكريمُ- ولذلك بوَّب ابنُ حبانَ في صحيحِه، [ذِكْرُ الإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَىٰ الْمَرْءِ مِنَ الثِّقَةِ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا بِحُسْنِ الظَّنِّ فِي أَحْوَالِهِ بِهِ] وأوردَ حديث وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»(١).

والثقةُ بالله عَزَّ وَجَلَّ شأنُ الصالحين، وفيها الغِنىٰ والعفاف، والرضا والكَفاف، فقد سُئِلَ أَبُو حَازِمٍ الْمَدِينِيُّ، فَقِيلَ لَهُ: « مَا مَالُكَ؟ قَالَ: الْكَثِيرُ الطَّيِّبُ. قِيلَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: الثِّقَةُ بِاللهِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَإِنْ أَعْطَانِي رَضِيْتُ، وَإِنْ مَنَعَنِي قَنَعْتُ »(٢).

وقيل له أيضًا: « أما تخافُ الفقرَ؟ فقال: أنا أخافُ الفقر، ومولايَ له ما في السماواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحت الثرىٰ؟! »(٣).

---

(١) صحيح ابن حبان: التقاسيم والأنواع (٥/ ٤٦١) حديث رقم (٤٧٤٧) وأخرجه أحمد (١٦٠١٦) والدارمي (٢٧٧٣) والطبراني في الكبير (٢١٠) والحاكم في المستدرك وصححه (٧٦٠٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٦).

(٢) الطبقات الكبير لابن سعد (٧/ ٥١٥).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٠ ت الأرنؤوط).

وفي الثقةِ باللهِ قوةٌ واستغناء، وتوكُّلٌ واكتفاء، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾(١).

عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ قال: « وَالاعْتِصَامُ هُوَ: الثِّقَةُ بِالله »(٢).

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: « الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا أَرْبَعَةٌ:

الْأُولَىٰ: الثِّقَةُ بِاللهِ تَعَالَىٰ فِيمَا وَعَدَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا بِأَمْرِ الْآخِرَةِ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ مَدْحُ الْخَلْقِ وَذَمُّهُمْ عِنْدَهُ وَاحِدًا.

وَالثَّالِثَةُ: الإِخْلَاصُ فِي عَمَلِهِ.

وَالرَّابِعَةُ: أَنْ يَتَجَاوَزَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَلَا يَغْضَبَ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، وَيَكُونَ حَلِيمًا صَبُورًا »(٣).

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: « صِفَةُ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ ثَلَاثُ خِصَالٍ: الثِّقَةُ بِاللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالْفَقْرُ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ »(٤).

---

(١) [سورة آل عمران: ١٠١].

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٠).

(٣) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص/ ٢٠٩).

(٤) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص٤٦٨).

وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ النَّاسِ مَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ النَّاسِ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ شَيْئًا، وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ مَنِ احْتَاجَ إِلَيْهِمْ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ مَنِ احْتَاجَ إِلَيْهِ، وَسَأَلَهُ. وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْهِ مَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنْهُ، وَلَمْ يَسْأَلْ مِنْهُ شَيْئًا »[(١)].

وقد رويَ أنَّ حَاتِمًا الْأَصَمَّ كان يَقُولُ: « مَنْ أَصْبَحَ وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي رِضَا اللهِ: أَوَّلُهَا: الثِّقَةُ بِاللهِ ثُمَّ التَّوَكُّلُ ثُمَّ الْإِخْلَاصُ ثُمَّ الْمَعْرِفَةُ، وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَتِمُّ بِالْمَعْرِفَةِ »[(٢)].

فينبغي للمسلمِ أنْ يجعلَ ثقتَه بالله كبيرة، ودائمةً في كلِّ كبيرةٍ وصغيرة، حتىٰ وإنْ أخذ بالأسبابِ النافعة، واتخذ الوسائل الناجعة، فليتذكرْ أنَّ الذي بيدِه تيسيرُ الأسبابِ هو الخالقُ الوهاب، وكلَّ شيءٍ يجري فبتقديرِ رب الأرباب، فلا ينسىٰ المسلمُ ربَّه في أيِّ حال، فكل الخلقِ أسبابٌ يُسَخِّرُ الله بعضَهم لبعض، فقد تثقُ بعلاجِ الطبيبِ كسببٍ نافعٍ ولكنْ لا تنسىٰ أنَّ

---

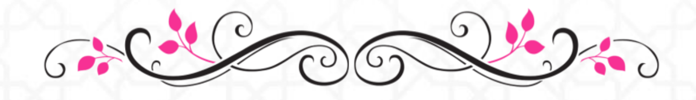
(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص٤٦٨).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط السعادة (٨/ ٧٥).

الشفاءَ بيد الله، وقد تثقُ بنفعِ أخيكَ وصديقِك لك، ولكنَّ تسخيرَ القلوبِ وتمكينَ الخلقِ من نفعك بيدِ الله، فلا مانع من الأخذِ بالأسباب، ولكن لا ننسىٰ أنَّ تيسيرَها وتسخيرَها وحصولَ نفعِها بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فالثقةُ المُطلقةُ الكاملةُ لا تكون إلا باللهِ سبحانه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾(١).

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ والسُّنّة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحِكمة، أقولُ ما سمعتم وأستغفرُ الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.



(١) [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

الخطبة الثانية

الحمدُ لله الذي بيدِهِ التدبير، ومنه العونُ والتيسير، وأشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ العليُّ الكبير، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسوله، البشيرُ النذير، صلواتُ الله وسلامُه عليه، وعلىٰ آلِه الكرماءِ وأصحابِه الرحماء، صلاةً مستمرةَ الدوام، جديدةً علىٰ مَرِّ الليالي والأيام.

أما بعد:

فإنَّ الثقةَ باللهِ بلسمٌ لكلِّ جِراح، وترياقٌ لكلِّ داء، وعلاجٌ لكلِّ مرض، ففيها تخفيفٌ لمُصيبةِ المُصاب، وتخفيفٌ من ألمِ المُبتلىٰ، ولذلك رُوِيَ عَن أحد وزراء أنو شروان[١] أَنَّهُ حَبسه عِنْد غَضَبه، فِي بَيتٍ كالقبرِ ظلمَةً وضيقًا، وصفَّدَه بالحديد، وَألبَسهُ الحَشَّ من الصُّوف، وَأمرَ أَن لَا يُزَاد فِي كل يَوْم، علىٰ قُرصين خبْزًا شَعِيرًا، وكفِّ ملحٍ جَريش، ودورق مَاء، وَأَن تُحصىٰ أَلْفَاظُه، فتُنقل إِلَيْهِ، فَأَقَامَ بزرجمهر شهورًا، لَا تُسمعُ لَهُ لَفْظَةٌ.

---

(١) هو بُزُرْجَمْهرُ بْنُ الْبَخْتكَانِ الْحَكِيم، الَّذِي كَانَ وَزِير أنوشروان، وأنو شروان ملك عادل من ملوك فارس قبل البعثة.

فَقَالَ أنوشروان: أدخِلُوا إِلَيْهِ أَصْحَابه، ومُروهم أَنْ يسألوه، ويُفاتِحوه فِي الْكَلَام، واسمعُوا مَا يجْرِي بَينهم، وعرِّفُونيه.

فَدخل إِلَيْهِ جمَاعَةٌ من المختصين، كَانُوا بِهِ، فَقَالُوا لَهُ: أَيهَا الْحَكِيم، نرَاك فِي هَذَا الضّيقِ، وَالْحَدِيد، وَالصُّوفِ، والشدة الَّتِي وَقعت فِيهَا، وَمَعَ هَذَا، فَإِن سِحنةَ وَجهك، وَصِحَّةَ جِسمِك، علىٰ حَالهمَا، لم تتغيرا، فَمَا السَّبَب فِي ذَلِك؟ فَقَالَ: إِنِّي عملتُ جوارشًا من سِتَّةِ أخلاطٍ[1]، آخذ مِنْهُ كلَّ يَوْمٍ شَيْئا، فَهُوَ الَّذِي أبقاني علىٰ مَا ترَوْنَ.

قَالُوا: فصِفْهُ لنا، فَعَسَىٰ أَن نُبتلىٰ بِمثلِ بلواك، أَو أحدٌ من إِخْوَاننَا، فنستعمله وَنصفه لَهُ.

قَالَ: الْخَلْط الأول: الثِّقَة بِالله عَزَّوَجَلَّ، والخلط الثَّانِي: علمي بِأَن كل مُقَدّر كَائِن، والخلط الثَّالِث: الصَّبْر خير مَا اسْتَعْملهُ الْمُبتَلون، والخلط الرَّابِع: إِن لم أَصْبِر أَنا فَأَيَّ شَيْء أعمل، وَلِمَ أعين علىٰ نَفسِي بالجزع، والخلط الْخَامِس: قد يُمكن أَن أكون

---

(١) الجوارش نوع من الحلاوات.

فِي شَرّ مِمَّا أَنا فِيهِ، والخلط السَّادِس: من سَاعَة إِلَىٰ سَاعَة فرج.

قَالَ: فَبلغَ كسْرَىٰ كَلَامُه، فَعَفَا عَنهُ(١).

إِذا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلْوَى هُوَ اللَّهُ

إِذَا قَضَى اللَّهُ فَاسْتَسْلِمْ لِقُدْرَتِهِ ... مَا لامْرِئٍ حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللَّهُ

الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ ... لا تَيْأَسَنَّ فَإِنَّ الصَّانِعَ اللَّهُ(٢)

أَوْ كَانَ فَوْقَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَسْلَكُهَا ... لَسَهَّلَ اللهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيهَا

وقَالَ حَاتِمٌ الْأَصَمُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَنا أَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: إِلَىٰ الْمَعْرِفَةِ وَإِلَىٰ الثِّقَةِ وَإِلَىٰ التَّوَكُّلِ، فَأَمَّا مَعْرِفَةُ الْقَضَاءِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْقَضَاءَ عَدْلٌ مِنْهُ فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَشْكُوَ إِلَىٰ النَّاسِ أَوْ تَتَّهِمَ أَوْ تَسْخَطَ وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَرْضَىٰ وَتَصْبِرَ، وَأَمَّا الثِّقَةُ فَالْإِيَاسُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَعَلَامَةُ الْإِيَاسِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ أَنْ تَرْفَعَ الْقَضَاءَ مِنْهُمْ، وَإِذَا رَفَعْتَ الْقَضَاءَ مِنْهُمْ فَقَدِ اسْتَرَحْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَرَاحُوا مِنْكَ وَإِذَا لَمْ تَرْفَعِ الْقَضَاءَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَكَ أَنْ تَزَّيَّنَ لَهُمْ وَتَصَنَّعَ لَهُمْ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ وَقَعْتَ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ وَوَقَعُوا فِي أَمْرٍ

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي (١/ ١٥٩).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٩٧).

عَظِيمٍ وَتَضَعُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ فَإِذَا وَضَعْتَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ فَقَدْ رَحِمْتَهُمْ وَأَيِسْتَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا التَّوَكُّلُ فَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ لِمَوْعُودِ اللهِ فَإِذَا كُنْتَ مُطْمَئِنًّا بِالْمَوْعُودِ اسْتَغْنَيْتَ غِنًى لَا تَفْتَقِرُ أَبَدًا »[١].

عباد الله: العاقلُ من اعتبرَ بغيرِه، ووثقَ بالخالقِ في جميعِ أمورِه، ولقد جرَّب أقوامٌ الثقةَ بغيرِ اللهِ ونسوا ربَّهم فعادوا بالخيبةِ والحِرمان، وباؤوا بالندامة والخُسران، حتى قال أحدُهم:

حُمقاً شَكَوتُ لغيرِ اللهِ أوجاعي فلمْ تُلامسْ لديهمْ غيرَ أسماعِ
وحينَ بُحْتُ بها للهِ ... في ثقةٍ لمستُ راحةَ قلبي بينَ أضلاعي

وقال الآخر:

أَبِعَينِ مُحْتَاجٍ إِلَيْكَ رَأَيْتَنِي فَحَقَرْتَنِي وَرَمَيْتَنِي مِنْ حَالِقِ
لَسْتَ المَلُومَ أَنَا المَلُومُ لأَنَّنِي عَلَّقْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الخَالِقِ[٢]

فنسألُ اللهَ أنْ يُعلِّق قلوبَنا به سبحانَه، وأنْ يَربطَ آمالَنا به جَلَّجَلَالُهُ، اللهم إنا نسألك الهُدىٰ والتُّقىٰ والعفافَ والغِنىٰ.

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٧٦).

(٢) الدر الفريد وبيت القصيد (٢/ ٩٧).

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا مُطمئنًا وسائرَ بلاد المسلمين.

اللهم آتِ نفوسَنا تقواها وزكِّها أنتَ خيرُ من زكَّاها أنت وليُّها ومولاها، اللهم اغفرْ لمنْ حضرَ هذه الخطبةَ ولوالديه، وافتحْ للموعظةِ قلبَه وأُذنيه، واجعلْ ما سمعه حُجةً له لا عليه.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.







٢ - خطبة جمعة بعنوان/

[أهميةُ البَركةِ وبيانُ بعضِ أسبابها]

إِنَّ الْحَمدَ لله نحمدُه ونستعينُه وَنَسْتَغْفِرهُ، ونعوذُ بِاللهِ من شرورِ أَنْفُسِنَا وَمن سيئاتِ أَعمالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾(٢). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣).

---

(١) [سورة آل عمران: ١٠٢].

(٢) [سورة النساء: ١].

(٣) [سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١].



أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عباد الله: إنَّ مما يَنبغي أنْ يعلمَه الإنسان، وأنْ يَستقرَّ في الأذهان، أنَّ البركةَ في كلِّ شيءٍ خيرٌ من مجرَّدِ وجودِه، فالبركةُ في الرزق خيرٌ من كثرتِه، والبركة في البدن خيرٌ من ضخامتِه وقوِّته، والبركةُ في البيتِ خيرٌ من زينتِهِ وزخرفتِهِ، والبركةُ في علمِ العالمِ خيرٌ من كثرةِ محفوظاتِه واتّساعِ معرفتِه، والبركةُ في العقلِ خيرٌ من ذكائه وفِطنَتِه، والبركةُ في اللسانِ خيرٌ من فصاحتِهِ وبلاغتِهِ، والبركةُ في العمُرِ خيرٌ وأهمُّ من طولِ مُدَّتِه. فوجودُ البركة في كلِّ شيءٍ تعني الانتفاعَ به وانتفاءَ مضرَّتِه.

وماذا يُفيدُ وجودُ الأشياءِ إنْ كانتِ المَضرَّةُ لها مُصاحِبَة، والمَنفَعةُ لها مجانِبة. وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بالبركةِ في مواطنَ كثيرةٍ ومنها ما علمه الحسنُ عند قنوتِ الوِتر وفيه: «**وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ**»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥) وابن ماجه (١١٧٨)، وأحمد (١٧١٨) وابن حبان (٢٢٠٧) والطبراني في الكبير (٢٧٠٠) والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٣١٤١) =

البركةُ يقولُ العلماء: إنها هي الخيرُ الكثيرُ الثابتُ، ويعيدون ذلك إلىٰ اشتقاق هذه الكلمة، فإنها من البِرْكَة، وهي مجمع الماء، مكان واسع، ماؤه كثير ثابت. فالبركة هي الخيرات الكثيرة الثابتة.

والمعنىٰ أي: أَنزِلْ ليَ البركةَ فيما أعطيتني.

«**فيما أعطيتَ**»: أي: مِنْ كلِّ شيءٍ أعطىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[1].

فتسألُ اللهَ البركةَ فيه؛ لأنَّ اللهَ إذا لم يُباركْ لك فيما أعطاك حُرِمتَ خيراً كثيراً.

فما أكثرَ الناسِ الذين عندهم المالَ الكثيرَ وهم في عِدادِ الفقراءِ؛ لأنهم لا ينتفعون بمالِهم، تجدُ عندَهم من الأموالِ ما لا يُحصىٰ، لكنْ يُقَصِّرُ علىٰ أهلِهِ في النفقةِ، وعلىٰ نفسِه ولا ينتفعُ بماله، والغالبُ أنَّ من كان هذه حالُه وبَخِلَ بما يجبُ عليه، أنْ يُسلَّطَ علىٰ أموالِه آفاتٌ تُذهبُهَا.

= وصححه الألباني في إرواء الغليل (٤٢٩) من حديث الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وفي بعض الروايات أنه سمع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بهذا الدعاء.

(١) [النحل: ٥٣].

وكثيرٌ من الناسِ عندَه أولادٌ لكنَّ أولادَه لم ينفعوه، عندَهم عقوقٌ واستكبارٌ علىٰ الأب، حتىٰ إنه - أي الولد - يجلسُ إلىٰ صديقِه الساعاتِ الطويلةَ يتحدثُ إليه ويأنسُ به ويُفضي إليه بأسرارِه، لكنه إذا جلس عند أبيه، كان كالطيرِ المحبوسِ في القفَصِ - والعياذُ بالله - لا يأنسُ بأبيه، ولا يتحدَّثُ إليه، ولا يُفضي إليه بشيءٍ من أسرارِه، ويستثقلُ حتىٰ رؤيةَ أبيه، فهؤلاء لم يُبارَكْ لهم في أولادِهم.

وتحيةُ المسلمين فيها الدعاءُ بالبركة: "السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه"، فقول المُسلِّمِ: وبركاته، دعاءٌ بالبركة، وثوابُ هذه الكلمةِ عشرُ حسناتٍ تتمة الثلاثين.

وفي دعاءِ الاستخارة: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي، فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ»[١].

فقولُه: «ثم باركْ لي فيه»، دعاءٌ بالبركة ودليلٌ علىٰ أهميةِ البركةِ وأنَّ وجودَها في الأمرِ المطلوبِ أهمُّ من وجودِ الأمر نفسِه.

---

(١) رواه البخاري (١١٠٩) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وورِدَ الدعاءُ بالبركةِ للذينَ أكلَ الشخصُ عندَهم، فقد صحَّ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أكلَ عندَ قومٍ ثم دعا لهم بقولِه: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ**»(١).

وورد الدعاءُ بالبركة للمتزوج: «**بَارَكَ الله لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ**»(٢).

وجاء الحثُّ علىٰ الدعاءِ بالبركةِ إذا رأىٰ الإنسانُ ما يُعجبُه، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ أَوْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيُبَرِّكْ؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ**»(٣).

وهكذا المسلمُ إذا تزوَّجَ فيُستحبُّ له أنْ يدعوَ بالبركة، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا، وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ فِي الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤٢) من حديث عبد الله بن بُسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٨٩٥٦) وأبو داود (٢١٣٠) والترمذي (١٠٩١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٢٩) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١٢٧٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مسند أحمد (١٥٧٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٧٢) عن عبد الله بن عامر.

(٤) أخرجه أبو داود (٢١٦٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠).

وورد الدعاءُ بالبركةِ في الطعامِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَطْعَمَهُ اللهُ طَعَامًا، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللهُ لَبَنًا، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، إِلَّا اللَّبَنُ»(١).

عباد الله: لأجلِ نيلِ البركاتِ التي تنفعُ من وصلت إليه، وترفعُ شأنَ من دخلت عليه، هاكُمْ بعضَ أسبابِ نيلِ البركات في الأرزاق، وإكرامِ الوهَّابِ الرزَّاق، فإنَّ بعضَ الناسِ يُهمُّهمْ كثرةُ المال، والمباهاةُ بالمظاهرِ وجمالِ الحال، ولا يُدركون أن البركةَ أهمُّ من كثرةِ العدد، وأنفعُ من المظاهرِ التي قد تكونُ سببًا للعين والحسد، والبؤس والنكد.

فالمالُ إنْ بورِكَ فيه انتفعَ به صاحبُه، وإنْ لم يُبارَك فيه كثُرت بسببِهِ مصائبُه، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ومتىٰ بورِكَ فيه لمْ يكنْ فيه

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٧٨) وأبو داود (٣٧٣٠) وابن ماجه (٣٣٢٢) والترمذي (٣٤٥٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٤٥).

فتنةٌ ولم يحصلْ بسببِه ضَررٌ ولا تقصيرٌ في حقٍّ ولا غيرِ ذلك من الآفاتِ التي تتطرَّقُ إلىٰ سائرِ الأغنياء »[١].

وقد جعلَ اللهُ لكلِّ شيءٍ سببًا، فمن أسبابِ البركةِ في الأرزاق: الصدقُ والتَّبيينُ في البيعِ والشراءِ وسائرِ المعاملات، فعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا، بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا، مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»[٢].

فينبغي للمسلمِ أنْ يصدُقَ في بيعِهِ وشرائه، وأنْ لا يغُشَّ في أخذه ولا في عطائه، فإنَّ الكذبَ يَمْحَقُ البركات، والغِشَّ يَجلبُ الآفاتِ والنكبات، في الحياةِ الدنيا وبعد الممات، فليتَّقِ اللهَ المسلمُ في كلِّ معاملاتِه، ولا يرضىٰ بما يُفسدُ آخرتَه ويُذهب البركَةَ من حياتِه.

والخير والبركةُ في المباحِ الطيِّبِ وإنْ رآه الناسُ في الظاهرِ قليلًا.

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ٣٩).

(٢) رواه البخاري (١٩٧٣) ومسلم (١٥٣٢).

قال القُشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ما كان بإذنٍ منه سبحانه من التصرّفاتِ فمقرونٌ بالخيراتِ، ومصحوبٌ بالبركات، وما كان بمتابعةِ الهوىٰ يُسَلَّطُ عليه المحقُ، وكانت عاقبةُ أمرِهِ الخُسران »(١).

والعاقلُ لا يجعلُ كلَّ همِّه كثرةُ المال وزيادتُه، بل يحرصُ علىٰ الحلالِ المباركِ لتصيبه منفعتُه وبركتُه.

ومن أسبابِ البركةِ في الرزق:

النفقةُ في وجوهِ الخير، وبذلُ المعروف إلىٰ الغير، قال الله العليُّ الكبير: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(٢).

قال المفسرُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أي: يُنَمّيها ويُنزِلُ البركةَ في المالِ الذي أُخرجتْ منه ويُنمي أجرَ صاحبِها، وهذا لأنَّ الجزاءَ من جنسِ العمل، فإنَّ المُرابي قد ظلمَ الناسَ وأخذَ أموالَهم علىٰ وجهٍ غيرِ شرعيٍّ، فجوزي بذهابِ مالِهِ، والمحسن إليهم بأنواعِ الإحسانِ ربُّه أكرمُ منه، فيُحسِنُ إليه كما أحسنَ إلىٰ عباده »(٣).

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري (١/ ٢١١).

(٢) [سورة البقرة: ٢٧٦].

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص/ ١١٧).

وقال المفسرُ الماورديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ فيه تأويلان: **أحدهما**: يُثمِّرُ المالَ الذي خرجتْ منه الصدقةُ. **والثاني**: يُضاعِفُ أجرَ الصدقةِ ويزيدُها »[١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾[٢].

أي: ما تصدّقتم من صدقةٍ وأنفقتم في الخيرِ والبرِّ من نفقةٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ؛ إمَّا أن يُعَجِّلَه في الدنيا وإمَّا أن يَدَّخِرَه له في الآخرة[٣].

ولقد كان السلفُ يفرحون بفعلِ الخير، ويَسعَدون بنفعِ الغير، بل ويتسابقونَ علىٰ ذلك؛ قال جعفرُ بنُ محمد: « إنّ الحاجةَ تعرِضُ للرجُلِ قِبَلي فأبادرُ بقضائها مخافةَ أنْ يستغنيَ عنها أو تأتيَه وقد استبطأها فلا يكونُ لها عندَه موقعٌ »[٤].

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون (١/ ٣٥١).

(٢) [سورة سبأ: ٣٩].

(٣) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٨/ ٩١). من قول الكلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة (٣/ ١٩٦).

وقال المأمونُ لمحمدِ بنِ عبّاد المهلّبيّ: « أنت مِتلاف؛ فقال: يا أمير المؤمنين، مَنْعُ الموجود سوءُ ظنٍّ بالله، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾[1]»[2].

وفي الحديثِ الصحيح، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»**[3]، ذكروا فيه وجهين: أحدهما: معناه أنَّه يُبارِكُ فيه ويَدفعُ عنه المّضرَّاتِ فينجبر نقصُ الصورةِ بالبركةِ الخفيّة، وهذا مُدرَكٌ بالحسِّ والعادة، والثاني: أنه وإنْ نقصتْ صورتُه كان في الثواب المُرتَّبِ عليه جبرٌ لنقصِه وزيادةٌ إلىٰ أضعافٍ كثيرة[4].

وقال البَغَويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « قَوْلُهُ: **«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنَ مَالٍ»**، أَرَادَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُبَارِكُ فِيهِ، فَيَزْدَادُ مَالُهُ. وَسُمِّيَتِ الزَّكَاةُ زَكَاةً لِلْبَرَكَةِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي الْمَالِ، يُقَالُ: زَكَا الشَّيْءُ يَزْكُو: إِذَا كَثُرَ »[5].

---

(١) [سورة سبأ: ٣٩].

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة (٣/ ١٩٦).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٤١).

(٥) شرح السنة للبغوي (٦/ ١٣٣).

ففي هذا الحديث دليلٌ علىٰ فضلِ الصدقةِ وأنَّها سببٌ لوجودِ البركةِ في المال، وإنْ ظنَّ بعضُ الناس أنها تُنقِصُه فإنَّ ذلك بسببِ خفاءِ البركاتِ عليهم، فظنوا أنها تُنقِصُ المالَ، وهي في الحقيقة تُنمِّيه، وسببٌ لوجودِ البركة فيه.

ويؤيِّدُ هذا المعنىٰ ويقوِّيه، ويوضِّحُه ويُجلِّيه؛ حديثُ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»(١). فاللهُ سبحانه قد ضَمِنَ المزيدَ للجواد، والإتلافَ علىٰ الممسِكِ(٢).

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٣).

وفي هذا الحديث: الحضُّ علىٰ الإنفاقِ في الواجباتِ، كالنفقةِ علىٰ الأهل وصلةِ الرَّحِمِ، ويدخلُ فيه صدقةُ التطوعِ، والفرضِ،

---

(١) رواه البخاري (٤٤٠٧) ومسلم (٩٩٣) واللفظ له.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٢).

(٣) رواه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (١٠١٠).

ومعلومٌ أنَّ دعاءَ الملائكةِ مُجابٌ، بدليل قولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فمَنْ وافقَ تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفر له ما تقدَّمَ من ذنْبِه»(١).

ومن أسبابِ البركةِ في الرزق:

صلةُ الرحم، وما أدراكم ما صلةُ الرحم؛ بركةٌ في الأعمار، وبركةٌ في الديار، وبركةٌ في الأرزاقِ باستمرار، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الخلُقِ وَحُسْنُ الجوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»(٢).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٣)، قال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « بسطُ الرزق: سعتُه وتكثيرُه والبركةُ فيه »(٤).

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٣٩).

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٥٢٥٩) وصححه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣٩٨٧).

(٣) رواه البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٥٧).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٢٨).

فَصِلةُ الرَّحِمِ من أعظمِ أسبابِ البركةِ في الرزقِ، وهي من أحبِّ الأعمالِ إلىٰ الله وأكثرِها ثوابًا، فينبغي للمسلمِ أن يصِلَ أرحامَه ابتغاءَ مرضاةِ الله، وستتابعُ عليه الخيراتُ والبركاتُ في الدنيا وسيجِدُ ثوابَها في الآخرةِ بإذن الله سبحانه. عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لِيَكُونُوا فَجَرَةً، فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا، وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَتَوَاصَلُونَ فَيَحْتَاجُونَ**»(١).

عباد الله:

إنَّ مَنْ قَطَعَ أرحامَه فقد قطعَ علىٰ نفسِه سببًا عظيمًا من أسباب البركات، وأغلق في وجه نفسِه بابًا نافعًا من أبواب الخيرات، ولذلك تكثُر عند قاطعي الرحمِ المصائبُ والآفات، وتتكرّرُ في حياتهم النوازلُ والمدلهمّات، وقد حذَّر الله من قطيعةِ الرَّحِمِ في كتابِه، وبيَّنَ أنها سببٌ للوقوعِ في لعنةِ اللهِ والتعرُّض لسُخْطِهِ وعقابِه، وقُرنت قطيعةُ الرحمِ بالفسادِ في الأرض، لأنها إضاعةٌ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٧٦٢) والطبراني في الأوسط (١٠٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠٥).

للمعروفِ وتضييعٌ للفرضِ، قال سبحانه: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ۝٢٣﴾[١].

ومن أسبابِ البركةِ في الرزق:

الإيمان التقوىٰ والعملُ الصالحُ، فإنَّ تقوىٰ اللهِ في جميعِ الأوقات، سببٌ لتفريجِ الكُرُبَات وقضاءِ الحاجات، وسببٌ لنيلِ بركات الأرضِ والسماوات، قال تعالىٰ في محكم الآيات: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٢].

أي: لأُعْطُوا كلَّ خيرٍ يُنالُ من السماءِ والأرضِ، والبركةُ هي: ما يُنالُ من كلِّ خيرٍ علىٰ غيرِ مُؤنَـةٍ. وقيل: البركة: كلُّ شيءٍ يُنال بلا تَبِعَةٍ عليه ولا شِدةٍ، فذكَر هاهنا أنه يفتحُ عليهم بركاتٍ من السماءِ والأرضِ لو آمنوا واتقوا[٣].

(١) [سورة محمد: ٢٢- ٢٣].

(٢) [سورة الأعراف: ٩٦].

(٣) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٤/ ٥١٠).

وفي الآية دليلٌ علىٰ استنزالِ الرزقِ بالطاعةِ وحرمانِه بالمعصية[١].

ومن أسباب البركة في الرزق:

أَخْذُ المالِ من أبوابِه المُباحة، وبطيبِ نفْسٍ وسماحة، فمن أخذَ المالَ من حِلِّه وبطيبِ نفسٍ من المُعطِي فإنَّ هذا المالَ يُبارَكُ فيه، ولذلك روىٰ الشيخانِ من حديث حكيمِ بن حزامٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**»[٢].

ففي هذا الحديثِ دليلٌ علىٰ أنَّ أخذَ المالِ من أبوابِه المُباحةِ المشروعةِ سببٌ لحلولِ البركةِ فيه، وأنَّ مَنْ أخَذَ المالَ مِنْ غيرِ أبوابِه المشروعةِ فإنه لا يُبارَكُ له فيه، حتىٰ وإنْ رآه المُكتَسِبُ له كثيرًا، لكنه قليلُ النفعِ، بلْ يكادُ يكون لا نَفْعَ فيه، ولذلك قال

---

(١) النكت الدالة علىٰ البيان في أنواع العلوم والأحكام للكَرَجي القصَّاب (تـ٣٦٠) (١/ ٤٣٤).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٣) ومسلم (١٠٣٥).

عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ».

فالحرصُ علىٰ الحلالِ شأنُ الصالحين، والبُعدُ عن المالِ الحرامِ دَأبُ المتقين، وعلىٰ هذا ينبغي أن يكون جميعُ المسلمين.

عباد الله: ومن أسبابِ البركةِ في الرزق:

الرضا بما قسمَ الله، والقناعةُ بعطاءِ الله، فإنَّ من رضيَ بما أعطاه اللهُ فقد سلكَ سبيلَ الرضا الذي يَنالُ بسببِه رضا الخالقِ سبحانه، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»(١).

ومن رضيَ بعطاءِ اللهِ فإنَّ اللهَ يُبارِكُ له في مالِه وحالِه، ولذلك قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْتَلِي عَبْدَهُ فِيمَا أَعْطَاهُ فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِ وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ»(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٣١) والترمذي (٢٣٩٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠). عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٠٢٧٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٩٧٢٥) وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٥٨).

ويُكرمُ الله أهلَ الرضا بأنْ يَقذفَ في قلوبِهم الشعورَ بالغِنىٰ والكفافِ، ولذلك قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ**»(١).

فالرضا بما قسمَ اللهُ من أعمالِ القلوبِ التي ينبغي لنا أن نَتنبَّهَ لها وأنْ نُجاهدَ أنفُسَنا علىٰ تحقيقِها، فإنَّ التقصيرَ في تحقيقِها حاصل، ووجودُها سببٌ لخيرٍ كثيرٍ ومتواصل.

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيم والسُّنة الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكم، المُنيفة، أقول ما سمعتم وأستغفرُ الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) رواه أحمد (٨٠٩٥) والترمذي (٢٣٠٥) وابن ماجه (٤٢١٧) وأبو يعلىٰ (٥٨٦٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠). من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حَمْدًا لا يَنْفَدُ، أَفْضَلَ ما يَنبغِي أن يُحْمَدَ، وصلَّىٰ اللهُ وسَلَّمَ علىٰ أَفْضَلِ الْمُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِه ومَن تَعَبَّدَ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ مِنْ أعظمِ أسبابِ حلول البركات، ونزول الخيرات والرحمات، هو البرُّ بالآباء والأُمهات، كما دلَّت علىٰ ذلك الآياتُ المُحْكَمَات، والأحاديثُ الصحيحةُ الواضحات.

وبرُّ الوالدين يدخلُ في أدلةِ الأمرِ بصلةِ الرحم دخولًا أوليًا، فالإحسان إليهما سببٌ لنيلِ البركات، والنجاةِ من الشقاوةِ وجميعِ المُنَغِّصات، وأدلةُ إثباتِ هذا المعنىٰ كثيرة، والشواهد علىٰ صحتِه مستفيضةٌ وشهيرة، ولكنْ ليس المقامُ مقامَ بسطِها وسردِها.

وكذلك القصصُ الكثيرةُ والوقائع الشهيرة تشهد علىٰ فلاحِ من أحسنوا إلىٰ والديهم، ولئلا يطول المَقام فسأختم لكم

- أيها المسلمون - بهذه القصةِ التي صحَّ سندُها وثبتت روايتُها(١)، وفيها دلالةٌ على عظيمِ البركة التي يحظى بها من بَرَّ أباه أو أُمَّه.

عن عَبْدِ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُوس، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنِينَ، فَمَرِضَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: إِمَّا أَنْ تُمَرِّضُوهُ وَلَيْسَ لكُمْ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيءٌ، وإِمَّا أَنْ أُمَرِّضَهُ وَلَيْسَ لِي مِنْ مِيرَاثِهِ شيء، قَالُوا: بَلْ مَرِّضْهُ وَلَيْسَ لَكَ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيءٌ.

قَالَ: فَمَرَّضَهُ حَتَّى مَاتَ، وَلَمْ يَأْخُذ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَأُتِيَ فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ لَهُ: ائْتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَقَالَ فِي نَوْمِهِ: أَفِيهَا بَرَكَةٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَأَصبحَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِامْرَأَتِهِ، فَقَالَتْ: خُذْهَا، فَإِنَّ مِنْ بَرَكَتِهَا أَنْ نَكْتَسِيَ وَنَعِيشَ فِيهَا، قَالَ: فَأَبَى.

فَلَمَّا أَمْسَى أُتِيَ فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ لَهُ: ائْتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهُ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ، فَقَالَ: أَفِيهَا بَرَكَةٌ؟ قَالُوا: لَا، فَلَمَّا أَصْبحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِامْرَأَتِهِ، فَقَالَتْ مِثْلَ مَقَالَتِهَا الْأُولَى، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهَا.

---

(١) سمعتُ شيخنا الإمام في درس من دروس المغرب أواخر عام ١٤٤٣هـ يقول: إسنادها صحيح كالشمس.

فَأُتِيَ فِي النَّوْمِ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ: أَنِ ائْتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهُ دِينَارًا، قَالَ: أَفِيهِ بَرَكَةٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَذَهَبَ فَأَخَذَ الدِّينَارَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَىٰ السُّوقِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ حُوتَيْنِ، فَقَالَ: بِكَمْ هُمَا؟ فَقَالَ: بِدِينَارٍ، فَأَخَذَهُمَا مِنْهُ بِالدينَارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهُ شَقَّ الْحُوتَيْنِ فَيَجِدُ فِي بَطْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دُرَّةً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهَا.

قَالَ: فَبَعَثَ الْمَلِكُ لِدُرَّةٍ يَشْتَرِيهَا، فَلَمْ تُوجَدْ إِلَّا عِنْدَهُ، فَبَاعَهَا بِوَقْرِ ثَلَاثِينَ بَغْلًا ذَهَبًا، فَلَمَّا رَآهَا الْمَلِكُ، قَالَ: مَا تَصْلُحُ هَذِهِ إِلَّا بِأُخْتٍ اطْلُبُوا مِثْلَهَا، وإِنْ أَضْعَفْتُمْ.

فَجَاءُوهُ وَقَالُوا: عَنْدَكَ أُخْتُهَا وَنُعْطِيكَ ضِعْفَ مَا أَعْطَيْنَاكَ؟ قَالَ: وَتَفْعَلُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا بِضِعْفِ مَا أَخَذُوا الْأُولَىٰ(١).

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٤٧٤) رقم: (٢٢١٠٥) وجامع معمر بن راشد (١١/ ٤٦٨) رقم (٢١٠٢٧) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٨) وشعب الإيمان للبيهقي (٧٩٢٣). وسمعت شيخنا الإمام يقول: إسناده القصة صحيح كالشمس.

فانظرْ يا عبدَ الله! إلىٰ هذه البركةِ التي أكرمَ اللهُ بها هذا الرجلَ بسبب برِّ الوالدين.

فبرُّ الوالدين ثوابهُ كبير وعظيم، وعقوقُهما عقابُه شديدٌ وأليم، وهما ممَّا يُعجَّلُ للمرءِ في الدُّنيا، كما صح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، حيثُ قال: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرَ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تعالىٰ لصاحبِهِ العقوبةَ فِي الدنيا مع ما يَدَّخِرُهُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ، وَإِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا لَصِلَةُ الرَّحِمِ حَتَّىٰ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُوا فَجَرَةً فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا**»[1].

فلَمَّا كان القطعُ لها أسرعَها عقوبةً كان وصلُها أسرَعَها ثوابًا، «**حَتَّىٰ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ**» المتواصلين. «**لَيَكُونُوا فَجَرَةً**» مُنبعثين في الشر. «**فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا**» فجزاءُ التواصلِ الدُّنيوي كثرةُ المالِ وبركةُ النسلِ من الإناثِ والرجال، وذلك لأنَّ

---

(١) رواه ابن حبان (٤٤٠) عن أبي بكرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠٥). وبنحوه رواه أبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وابن ماجه (٤٢١١) وأحمد (٢٠٣٧٤).

واصلَ رحمِه يكثرُ حالُها بالصلةِ فجازاه اللهُ بنظيرِ ما كان منه، وفيه أنَّ قاطعَ الرَّحمِ يُعَجَّلُ له العقوبةُ بقلةِ المالِ وعدمِ البركةِ في النسلِ(١).

وفي لفظٍ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مَا شَاءَ مِنْهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ»(٢).

اللهم باركْ لنا في أحوالِنا وأموالِنا وأولادِنا وعافيةِ أبدانِنا، اللهم إنا نسألُك الهُدىٰ والتقىٰ والعفافَ والغِنىٰ، اللهم أرِنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابَه، اللهم أعزَّ الإسلام وانصرِ المسلمين، ودمِّرْ أعداءَ الدِّين، يا ربَّ العالمين.

اللهم إنا نعوذُ بك من زوالِ نعمتك وتحوِّلِ عافيتك وفُجاءةِ نقمتِك وجميعِ سَخَطِك.

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ٤٦٦). للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (تـ ١١٨٢ هـ).

(٢) أخرجه الحاكم (٧٢٦٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والبيهقي في الشعب (٧٥٠٥)

اللهم توفَّنا مُسلِمين، وألحِقنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالدينا أجمعين.

اللهم صلِّ وسلمْ وبارك علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.





٣- خطبة جمعة بعنوان/

[أهمُّ أسبابِ حفظِ النعم]

الحمدُ لله الذي بَرأَ النَّسَم، وأفاضَ النِّعم، ومنحَ القِسَم، وسنَّىٰ من شِرعتِه العِصَم. وخوَّلَنا عَوَارفَ لا تُحصىٰ، وهدانا شِرعةً رَمَتْ بِنا من رِضوانه إلىٰ الغرَضِ الأقصىٰ.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريك له، ذو العِزَّةِ القاهرةْ، والقُدرةِ الباهِرَة، والآلاءِ المتَظَاهرةْ.

عظيمٌ لا تُخالِطُه الظُّنونُ بقَبضتِهِ التَّحرُّكُ والسُّكونُ
تعالى اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ مُقَدِّرُهُ إلى وقتٍ يكونُ

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، إمامُ الأتقياء، وخاتمُ الأنبياء، وسيّدُ المرسلين، وخليلُ ربِّ العالمين.

يا من هُديتُمْ بالنبيِّ محمدٍ سيروا بهَدِي نبيِّكمْ تَعظيمًا
وإذا سمعتُم ذِكْرَهُ في مجلِسٍ صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ محدَثَةٍ بدعة

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾(١).

أيها الناسُ عبادَ الله: إنَّ نعمَ اللهِ علينا كثيرةٌ، وآلاءَهُ وفيرة، وقد جعل الله لهذه النِّعمِ أسبابًا، بها تُحفظُ وتَستَمِر، وتدومُ وتَستَقِر.

وهاكم أهمَّ أسبابِ حفظِ النعم، وهي أسباب عامَّة لكلِّ النعم التي يُحِبُّ الخلقُ بقاءَها، وأما أسبابُ حفظِ النعمِ الخاصَّةِ بكلِّ نعمةٍ فإن ذِكْرَها يطول.

ألا وإنَّ مِنْ أعظمِ أسبابِ حِفظِ النعمِ: أنْ يَستقيم العبادُ علىٰ طاعةِ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأن يُؤدُّوا حقَّه وفرائضَه، فمن أدَّىٰ حقَّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فقد أتىٰ بالسببِ العظيمِ الذي به تُحفظُ النعمُ وتُصان.

بل مَنْ أدَّىٰ حقَّ الله تعالىٰ فإنه يتسَبَّبُ في نيل حفظِ الله له ولأولادِهِ من بعدِه، قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾(٢).

---

(١) [الأنعام: ١٣٤].

(٢) [سورة الكهف: ٨٢].

قال العلماءُ في تفسيرِ قولِه تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ إنَّ صلاحَ أبيهِما كان سببًا في بقاءِ المالِ لهُما.

قال محمدُ بنُ المنكدرِ: « إنَّ اللهَ ليحفظُ بالرجلِ الصالحِ ولدَه وولدَ ولدِهِ وقريتَهُ التي هو فيها، والدويراتِ التي حولَها، فما يزالونَ في حفظِ اللهِ وستره.

وكان سعيدُ بنُ المسَيِّبِ يقولُ لولِدِهِ: يا بني، إني لأزيدُ في صلاتِي، رجاءَ أن أُحفظَ فيكَ، وتلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ ».

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ما منْ مؤمن يموتُ إلا حفظَهُ اللهُ تعالىٰ في عقبِهِ وعقبِ عقبِهِ »[١].

وكان أبو الطيبِ الطبريُّ قد جاوزَ المائةَ سنة وهو ممتعٌ بعقلِهِ وقوتِهِ، فوثبَ يومًا من سفينةٍ كان فيها إلىٰ الأرضِ وثبةً شديدةً، فعوتبَ علىٰ ذلكَ، فقال: « هذه جوارحُ حفظنَاها في الصغرِ، فحفظَها اللهُ علينا في الكِبَرِ. وعكسُ هذا أنَّ الجنيدَ رأىٰ شيخًا

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٧٦).

يسألُ الناسَ فقالَ: إنَّ هذا ضَيّعَ اللهَ في صِغرِهِ، فضيعه اللهُ في كِبَرِه »[١].

والأكثرُ يعلمُ أو يحفظُ قولَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**»[٢].

فمَنْ أراد حِفظَ الله عَزَّوَجَلَّ وعافيتَه؛ فعليهِ أنْ يحْفَظَ حُقوقَ اللهِ في سرِّه وعلانيتِه، فيؤدي الطاعاتِ قَدْرَ الإمكان، ويُكثر من الخيراتِ بإتقانٍ وإحسان، ويجتنب المُنكراتِ والبغيَ والعصيان، فإذا فعلَ ذلك فقدْ سعىٰ في إرضاءِ الكريمِ الرحمن، وأتىٰ بابًا عظيمًا من أبوابِ حفظِ النعمِ الحِسان.

ومن أسبابِ حفظ النعمِ أيضًا: التعلُّـقُ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتوكيلُ الأمور إليه، وأن نستودِعَه ديننا وعافيتَنا وأولادَنا وأموالَنا؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ**»[٣].

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٧٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥١).

(٣) أخرجه أحمد (٥٦٠٥) والنسائي في الكبرىٰ (١٠٢٧٣) والطبراني في الأوسط (٤٦٦٧) =

فينبغي لكل عاقلٍ إذا أصبحَ وأمسىٰ أنْ لا يغيبَ عن ذِهنِه أنْ يستودِعَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كلَّ ما يُحبُّ بقاءَه في حياتِه، مِنْ نعمةٍ وعافيةٍ في نفسِه وولدِه، ومالِهِ وغيرِها من النعم، لأنَّ الأُمورَ بيدِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وعلىٰ المسلمِ أن يُكثِرَ من الدعاءِ بذلك؛ فإنَّ الدعاءَ يدفعُ البلاءَ، كما ورَدَ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لا يَرُدُّ القضاءَ إلا الدعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلا البرُّ**»(١).

وعنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ دَعَا اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا إِحْدَىٰ خِصَالٍ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**فَاللهُ عَزَّوَجَلَّ أَكْثَرُ**»(٢).

= والبيهقي في الشعب (٣٠٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٠٨).

(١) رواه الترمذي (٢١٣٩) وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٩)، عن سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١١١٣٣) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، والطبراني في الدعاء (٣٦) =

والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حثَّنا علىٰ أذكارٍ وأدعيةٍ معلومةٍ، بها يتحصَّنُ العبدُ المسلمُ في صباحِهِ ومسائه؛ منها علىٰ سبيل المثال والاختصار:

قولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ فِي أَوَّلِ يَوْمِهِ، أَوْ فِي أَوَّلِ لَيْلَتِهِ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَوْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ»[(١)]. فهذا الذكرُ سببٌ لحفْظِ نعمةِ العافية.

ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[(٢)]. والمعوِّذتين حين تُمسِي، وحين تُصبِح - ثلاثَ مرَّات - تكفِيك من كلِّ شيء»[(٣)]، ففي قراءة هذه السورِ سببٌ للحفظِ من شرور الشياطين والسحرة وأعين الحاسدين.

= واللفظ له. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧١٠). من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه أحمد (٤٧٤) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٦٦٠). من حديث عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) [الإخلاص: ١].

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) واللفظ له، والنسائي (٥٤٤٣) وحسنه الألباني =



وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيلة كَفَتَاهُ**»(١).

ومنها: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فإنه لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يقربك شيطان حتىٰ تصبح**»(٢).

وكلُّ هذه الأدلةِ فيها إرشادٌ إلىٰ التحصُّن من أذيةِ الشياطين، التي قد تصيبُ مَنْ لا يأخذُ بأسبابِ العصمة والتحصين، فمنْ أراد العافيةَ وحفظَ النعمةِ فليحافظ علىٰ هذه الأذكار، الواردة عن النبي المختار، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما تعاقبَ الليلُ والنهار.

ومنها أيضًا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ - يَعْنِي - إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّىٰ عَنْهُ الشَّيْطَانُ**»(٣).

= في صحيح الترغيب والترهيب (٦٤٩). من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٤) ومسلم (٨٠٨). من حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٠١) تعليقاً ووصله البيهقي في الشعب (٢٣٨٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٢٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٩).

فدلَّت هذه الأحاديثُ علىٰ أنَّ مَنْ حافظَ علىٰ قراءةِ الأذكارِ والأورادِ الشرعيةِ فإنه يحظىٰ بحفظِ الله عَزَّوَجَلَّ، ويتسبّبُ في بقاءِ نعمِ الله عليه. وفي قراءة الأذكار ثوابُ متابعةِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وفيها أجر الذكرِ الذي يحظىٰ به قائلُها، وفيها أدعيةٌ لو استُجيبَ للعبدِ فيها أفلحَ في الدنيا والآخرة، وفي المحافظةِ عليها خروج من الغفلةِ المذمومة التي تضرُّ صاحبها في الدنيا والآخرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[1].

أقولُ ما سمعتم وأستغفرُ الله، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) [الأحزاب: ٣٥].

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبْغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أما بعد:

فأُوصيكمْ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، والمحافظةِ علىٰ الصلاةِ في أوقاتِها، وحثِّ الأهلِ والأولادِ علىٰ ذلك، فإننا مسؤولون أمامَ الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك.

ثم اعلموا - يا عباد الله - أنَّ مِنَ النعمِ التي يُحِبُّ الناسُ بقاءَها؛ نعمةَ المالِ، ومَن أرادَ أنْ يُحافِظَ علىٰ هذِه النعمةِ فعليهِ أنْ يؤدِّيَ شكرَ هذه النعمةِ، ومن أهمِّ ما تُشكرُ به نعمةُ المالِ هو إخراجُ الزكاة، وبه تُحفظُ النعمةُ وتبقىٰ، ويذهبُ شرها عنها ويُنحَّىٰ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَدَّىٰ زَكَاةَ مَالِهِ، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ»[١].

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني (١٥٧٩) وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٤٣). من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال العلامةُ محمدُ بنُ إسماعيل الأمير في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ»[(١)]: «أي: اجعلوا إخراجَها يمنعُها عن الآفاتِ الدنيوية والعُقوباتِ الأُخروية، فإنه ما تَـلِفَ مالٌ في برٍّ أو بحرٍ إلا بِمنعِ الزكاة، وسِرُّ ذلك؛ أنَّ الصدقةَ حقٌّ في مالِ الأغنياء للفقراء، وهم عاجزون عن استيفائها من الأغنياء، فإذا لم يُخْرِجْهَا من وجَبَتْ عليه انتصف اللهُ منه للفقيرِ بتلفِ مالِ الغنيِّ وإنزالِ الآفاتِ به فإذا زكّاهُ سلمَ من ذلك»[(٢)].

ومن أراد نماءَ مالِهِ وزيادتَهُ؛ فعليهِ أنْ يُكْثِرَ من الصَّدَقاتِ والنفقاتِ في مرضاتِ الله عَزَّوَجَلَّ، «فإنه مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (١٠٥) والطبراني في الكبير (١٠١٩٦) والبيهقي في الشعب (٣٥٥٧) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٧٢٤). من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٥/ ٣٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (١٠١٠). من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وصحَّ في الحديثِ القُدسي أنَّ اللهَ قال: «يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[١].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ وَلَا تُوكِي فَيُوكِيَ اللهُ عَلَيْكِ»[٢].

وفي لفظ: «ولا تُوعي فيُوعي الله عليك».

وفي لفظ: «ولا تُحصي فيُحصِي اللهُ عليك».

ومعنى الحديثِ: أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَها بالسخاءِ والنفقة، ونهاها عن الإمساكِ والبُخلِ، وبيَّن أنّ النفقةَ سببٌ لنماءِ المالِ وزيادتِه، وأن الإمساكَ سببٌ لتلفِهِ وقِلَّـــتِه، كما دلَّتْ على ذلك الآيات والأحاديث.

ولقد كان السلفُ يُدركون هذا الأمرَ ويعملونَ به، فقد قال المأمونُ لمحمدِ بنِ عبّاد المهلّبيّ: أنتَ مِتلافٌ؛ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ منْعَ الموجودِ، سُوءُ ظنٍّ بالله عَزَّوَجَلَّ، لأنَّ اللهَ تعالى

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٢٥٩١) ومسلم (١٠٢٩) وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبير (١٨/ ٢٥١) والنسائي في الكبرى (٢٣٤٣) والطبراني في الكبير (٢٣٥).

وعد بالخَلَفِ علىٰ الإنفاقِ، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾(١).

وقال بعضُ العلماء: إنَّ البُخلَ لا يمنعُ الفَقْرَ، وإنَّ الإنفاقَ لا يَجْلِبُه، وإنَّ خوفَ الإقلالِ من سوءِ الظنِّ بالله سبحانه، لأنَّ اللهَ أمرَ بالنفقةِ ووعَدَ عليها بالخَلَفِ والنماءِ في الدنيا والثوابِ في الآخرة، قال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾(٢).

فَمَنْ عمِلَ بهذِهِ الأسباب، وحافظَ عليها وعلىٰ غيرِها ابتغاءَ الأجرِ والثواب، فيُرجىٰ أنْ تدومَ له النعمُ وتبقىٰ، وأنْ يُوفَّقَ في أمورِه ولا يشقىٰ، ومن أعرضَ واستكبَر، وسلكَ طريقًا آخرَ، فلا يأمنْ تغيُّرَ الأحوالِ، وحُلولَ الوبال.

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ١٩٦). والآية من سورة [سبأ: ٣٩].

(٢) [سورة سبأ: ٣٩].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾(١).

اللهم إنا نسألُك الهُدىٰ والتُّقىٰ والعفافَ والغِنىٰ، اللهم أَرِنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتِّباعَه، وأَرِنا الباطلَ باطلًا وارْزُقنا اجتِنابَه، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم انصر من نصَرَ الدينِ، واخذلْ من يَخذُلُ المسلين، اللهم اجعلْ هذا البلدَ آمِنًا مُطمئنًّا وسائرَ بلادِ المُسلمين، اللهم توفَّنا مُسلِمين، وأَلْحِقْنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالدينا أجمعين، اللهم اجعلْ خيرَ أعمارِنا آخِرَها، وخيرَ أعمالِنا خواتِمَها، وخيرَ أيامِنا يومَ نلقاك، اللهم إنا نعوذُ بك من زَوالِ نِعْمتِك، وتحوُّلِ عافيتِك، وفُجاءَةِ نِقمتِك، وجميعِ سَخَطِك، اللهم إنا نعوذُ بك من جَهْدِ البلاء، ودَرَكِ الشقاء، وسوء القضاء، وشماتةِ الأعداء، اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبِهِ أجمعين.



(١) [الأعراف: ٩٩].




٤ - خطبة جمعة بعنوان/

[البيانُ لبعضِ برَكاتِ القرآن]

الحمدُ لله الذي جعلَ القرآن مباركًا نافعًا، ونورًا مُضيئًا ساطعًا، وهاديًا للمتقين ورافعًا، وحجَّةً لأهله في المعادِ وشافِعًا، أحمدُه ما تُليتْ آياتُ القرآن، وأشكُرهُ علىٰ فضلِهِ والإحسان.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، أنزلَ إلينا القرآنَ العزيز، وعَدَ فيه وبشَّر، وأَوعَدَ وحذَّر، ونهىٰ وأمَر، وأكملَ فيه الدين، وجعلَه الوسيلةَ الناجعةَ والحبلَ المتين، ويسَّره للذِّكر، وخلَّده غابرَ الدهر، عصمةً للمُعتَصِمين، ونورًا صادعًا في مُشكلاتِ المُختَصِمين، وحجةً قائمةً علىٰ العالم، ودعوةً شاملةً لِفرَقِ بني آدم، كلامُه الذي أعجَزَ الفصحاءَ، وأخرسَ البلغاءَ، وشرَّف العلماءَ، له الحمدُ دائبًا، وله الشكرُ واصِبًا، لا إلهَ إلا هو ربُّ العرشِ العظيم.

وأفضلُ الصلاةِ والتسليم، علىٰ محمدٍ رسولِه الكريم، صفوتُه من العباد، وشفيعُ الخلائق في المَعاد، صاحبُ المقامِ المحمود،

والحوضِ المورود، الناهضُ بأعباءِ الرسالةِ والتبليغِ الأعصم، والمخصوصُ بشرف السعايةِ في الصلاحِ الأعظم، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله صلاةً مستمرةَ الدَّوام، جديدةً علىٰ مرِّ الليالي والأيام.

أما بعد:

فأوصيكُمْ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعَلَن، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

أيها المسلمون: إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنزلَ القرآن كتابًا مباركًا، وقد أخبر عن بركته بصيغةِ الإطلاقِ، فبركتُه غيرُ مقيدةٍ بزَمَنٍ معينٍ ولا بفعلٍ مخصوص، وإنما جعل الله فيه من البركة ما لا يُحصىٰ له عدد، ولا يُدْرَك له أَمَد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾[2].

---

(١) [سورة النساء: ١٠٢].

(٢) [سورة الأنعام: ٩٢].

قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي في قوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾ أَيْ: « كَثِيرٌ خَيْرُهُ، دَائِمٌ بَرَكَتُهُ وَمَنْفَعَتُهُ، يُبَشِّرُ بِالثَّوَابِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَيَزْجُرُ عَنِ الْقَبِيحِ وَالْمَعْصِيَةِ »(١).

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥﴾(٢).

قال ابن عطيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ووصَفَه بالبركةِ؛ لأنَّ أجمَعها فيه، لأنَّه يُورث الجنَّة ويُنقِذُ من النار، ويَحفظُ المرءَ في حالِ الحياةِ الدنيا، ويكونُ سببَ رفعةِ شأنِه في الحياةِ الآخرة »(٣).

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾(٤)، فَوَصْفُ الْقُرْآنِ بِالْمُبَارَكِ يَعُمُّ نَوَاحِيَ الْخَيْرِ كُلَّهَا لِأَنَّ الْبَرَكَةَ زِيَادَةُ الْخَيْرِ، فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ خَيْرٌ(٥).

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٣/ ٦٤).

(٢) [سورة الأنعام: ١٥٥].

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٢).

(٤) [سورة الأنبياء: ٥٥].

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/ ٩٠).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وكونه (مباركًا) يقتضي كثرةَ خيراتِه ونماءَها وزيادتَها، ولا شيءَ أعظمُ بركةً من هذا القرآنِ، فإنَّ كلَّ خيرٍ ونعمةٍ، وزيادةٍ دينيةٍ أو دُنيويةٍ، أو أخرويةٍ، فإنها بسببِه، وأثَــرٌ عن العملِ به، فإذا كان ذكرًا مباركًا، وجبَ تلقيهِ بالقبولِ والانقياد، والتسليمِ، ووجب شُكرُ اللهِ علىٰ هذه المنحةِ الجَليلةِ، والقيامُ بها، واستخراجُ بَركتِه، بتعلُّمِ ألفاظِه ومعانيه »[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[(٢)]. وَالْمُبَارَكُ: الْمُنْبَثَّةُ فِيهِ الْبَرَكَةُ وَهِيَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَكُلُّ آيَاتِ الْقُرْآنِ مُبَارَكٌ فِيهَا، لِأَنَّهَا: إِمَّا مُرْشِدَةٌ إِلَىٰ خَيْرٍ، وَإِمَّا صَارِفَةٌ عَنْ شَرٍّ وَفَسَادٍ، وَذَلِكَ سَبَبُ الْخَيْرِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ وَلَا بَرَكَةَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ[(٣)].

فبركاتُ القرآنِ نافعةٌ كثيرة، ومتجددةٌ مفيدةٌ غزيرة، من استزاد منه أفلح، ومن أقبل عليه صلُح وأصلح.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص/ ٥٢٥).

(٢) [سورة ص:٢٩].

(٣) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥١).

وهاكُمْ بعضَ البركاتِ، المنصوصِ عليها في الأحاديثِ والآيات، تذكرةً لأولي الألباب، وطلبًا لبركةِ هذا الكتاب.

فمن بركاتِ القرآن:

أنه سببٌ لنيلِ رحمةِ الله عَزَّوَجَلَّ؛ قَالَ اللَّيْثُ بن سعدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يُقَالُ: مَا الرَّحْمَةُ إِلَىٰ أَحَدٍ بِأَسْرَعَ مِنْهَا إِلَىٰ مُسْتَمِعِ الْقُرْآنِ، لِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾[1]. وَ"لَعَلَّ" مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ »[2].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وإذا كان هذا الثواب لمستمع القرآن فكيف بتاليه »[3].

وعند تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥﴾[4].

---

(١) [سورة الأعراف: ٢٠٤].

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١/ ٩).

(٣) التذكار (ص/ ١٠١).

(٤) [سورة الأنعام: ١٥٥].



قال السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فأكبرُ سببٍ لنيلِ رحمة الله اتباعُ هذا الكتابِ، علمًا وعملًا »(١).

ومن بركات القرآن الكريم:

- أنه كتابُ هدايةٍ وإرشاد، ودِلالةٍ وإسعاد، يهدي به اللهُ لأقوَمِ المعتقداتِ والأعمال، ويُرشِدُ إلىٰ أحسنِ الأخلاقِ والأقوال، فمن أراد السعادةَ والنجاح، والتوفيقَ والفلاح، فعليه بالعنايةِ بالقرآن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(٢).

فَأَخْبَرَ أَنَّ جَمِيعَهُ يَهْدِي وَلَمْ يَسْتَثْنِ وَقْتًا مِنْ وَقْتٍ، فَوَجَبَ أَنْ تُوجَدَ الْهِدَايَةُ فِي جَمِيعِهِ أَبَدًا(٣).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يقول تعالىٰ ذكره: إنَّ هذا القرآنَ الذي أنزلناه علىٰ نبينا محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرشِدُ ويُسدّدُ من اهتدىٰ به ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ يقول: للسبيلِ التي هي أقومُ من غيرِها من السُّبُل، وذلك دينُ الله الذي بَعثَ به أنبياءه وهو الإسلامُ، فهذا

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص/ ٢٨١).

(٢) [سورة الإسراء: ٩].

(٣) الفصول في الأصول (٢/ ٢٦٤). لأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي المتوفىٰ (٣٧٠).

القرآنُ يهدي عبادَ الله المهتدينَ به إلىٰ قصدِ السبيلِ التي ضلَّ عنها سائرُ أهلِ المللِ المُكذِّبين به »[١].

وعَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ قال: « إِنَّ هَذَا القرآنَ يدلُّكمْ علىٰ دائكم ودَوائكم، فأما داؤكم فالذُّنوبُ والخطايا، وأما دواؤكم فالاستغفار »[٢].

فهو يهدي إلىٰ التوحيدِ الخالصِ، الذي لا نجاةَ للعبادِ إلا بتحقيقِه، ويهدي إلىٰ القيامِ بأوامرِ اللهِ وأوامرِ رسولِه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أكملِ الوجوهِ، ويهدي إلىٰ برِّ الوالدين وأداءِ حقوقِ المخلوقين علىٰ الوجه الذي يحبه اللهُ ويرضاه، ويهدي إلىٰ محاسنِ الأخلاق.

وقد رُوي في الأثر: « كِتَابُ الله فِيهِ نَبَأُ مَا كان قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَنْ ابْتَغَىٰ الْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلّهُ الله، وَهُوَ حَبْلُ الله المَتِينُ، وَهُوَ الذّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ،

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث (١٧/ ٣٩٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣١٩).

وَلَا يَخْلُقُ عَلىٰ كَثْرَةِ الرّدّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتّىٰ قالُوا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾[1] مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[2].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾[4].

---

(١) [سورة الجن: ١-٢].

(٢) أخرجه أحمد (٧٠٤)، والترمذي (٢٩٠٦)، والبزار (٨٣٤)، وأبو يعلىٰ (٣٦٧)، والدارمي (٣٣٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٣٥). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٨١). عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) [سورة البقرة: ٢].

(٤) [سورة المائدة: ١٥-١٦].

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أي: طُرُقَ السَّلَامَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ الْمُنَزَّهَةِ عَنْ كُلِّ آفَةٍ، وَالْمُؤَمَّنَةِ مِنْ كُلِّ مَخَافَةٍ، وَهِيَ الْجَنَّةُ »[(١)].

عباد الله: مَنْ أراد السلامةَ من الفتنِ المُضِلَّات، والشُّبَهِ المُعْضِلات، وأرادَ الاستقامةَ والثباتَ، والتوفيق حتىٰ الممات، فليُقبلْ علىٰ هذه الآيات البيِّنات، فإن فيها النجاةَ من الظلمات، والهدايةَ حتىٰ الممات.

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ هَدَاهُ اللهُ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَوَقَاهُ سُوءَ الْحِسَابِ. وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾[(٢)]. فَضَمِنَ اللهُ لِمَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ أَلَّا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَىٰ فِي الآخرة »[(٣)].

---

(١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١١٨).

(٢) [سورة طه: ١٢٣]. والأثر أخرجه مجاهد في تفسيره (ص/ ٤٦٧) وعبد الرزاق في المصنف (٦٢١٠) وابن أبي شيبة في المصنف (٣١٩٤٧) والطبراني في المعجم الكبير (١٢٤٣٧) وصححه الحاكم في المستدرك (٣٤٣٨).

(٣) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١/ ٩).

والقرآنُ للمؤمنين هدىً وشفاء، ومحجةٌ واكتفاء، ورفعةٌ وارتقاء، **قال تعالىٰ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾(١). فطوبىٰ لمن رتَّل القرآن ترتيلًا، واتَّخذه في سيره إلىٰ الله دليلًا، وتدبَّرَ آياتِهِ بكرةً وأصيلًا.

ومن بركاتِ القرآن الكريم:

- أنه شفاءٌ لما في الصدور، ودواءٌ من الأمراضِ والفتور، وعافيةٌ للمؤمنين من الإناث والذكور، قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾(٢). والشفاءُ المذكورُ يشملُ الشفاءَ من الأمراضِ المعنويةِ والحِسّية.

قال السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ الشِّفَاءِ وَالرَّحْمَةِ، والشِّفَاءُ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ عَامٌّ لِشِفَاءِ الْقُلُوبِ مِنَ الشُّبَهِ

(١) [سورة يونس: ٥٧].

(٢) [سورة الإسراء: ٨٢].

وَالْجَهَالَةِ، وَالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ، وَالِانْحِرَافِ السَّيِّءِ، وَالْقُصُودِ السَّيِّئَةِ؛ فَإِنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ الَّذِي تَزُولُ بِهِ كُلُّ شُبْهَةٍ وَجَهَالَةٍ، وَالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ الَّذِي يَزُولُ بِهِ كُلُّ شَهْوَةٍ تُخَالِفُ أَمْرَ اللهِ، وَلِشِفَاءِ الْأَبْدَانِ مِنْ آلَامِهَا وَأَسْقَامِهَا »(١).

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ﴾(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَعْلَمَ اللهُ أَنَّ الْقُرْآنَ هُدًىٰ وَشِفَاءٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ وَالْأَوْجَاعِ »(٣).

عباد الله : لقد تداوىٰ بالقرآنِ أقوامٌ فذاقوا بردَ العافية، وسُمِّيت سورةُ الفاتحةِ بالشافيةِ، وقد ثبَتَ أنَّ صحابيًا رقىٰ لديغًا بالفاتحةِ الكافية، فبرأ اللديغُ من مرضِه فأقرَّه الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسماها الشافية؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص/ ٤٦٥).

(٢) [سورة فصلت: ٤٤].

(٣) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٦٩).

رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أَوْ مُصَابٌ! فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ. فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ الرَّجُلُ.

فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّىٰ أَذْكُرَ ذَٰلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَٰلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ! فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: «**وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟**» ثُمَّ قَالَ: «**خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « فقد أثّرَ هذا الدواءُ في هذا الداء، وأزالَه حتىٰ كأنْ لم يكن! وهو أسهلُ دواءٍ وأيسرُه. ولو أحسنَ العبدُ التداويَ بالفاتحةِ لرأىٰ لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء. **قال**: ومكثتُ بمكة مدّةً تعتريني أدواءٌ، ولا أجدُ طبيبًا ولا دواءً، فكنتُ أعالجُ نفسي بالفاتحة، فأرىٰ لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصِفُ ذلك لمن يشتكي ألَمًا، وكان كثيرٌ منهم يَبرأُ سريعًا »(٢).

---

(١) رواه البخاري (٥٤٠٤) ومسلم (٢٢٠١).

(٢) الداء والدواء = الجواب الكافي - ط عطاءات العلم» (١/ ٨). وقد بين بعد هذا أن قبول المحل شرط في الانتفاع بهذا الدواء...فليُراجع.

وكان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا مرض أحدٌ من أهله رقاه بالقرآن، ولما مرضَ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كانت عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا تَرقيه بالقرآن؛ وهو يُقرِّها علىٰ ذلك؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي»(١).

فكم شفىٰ اللهُ بالقرآنِ من أمراضِ الشبهاتِ والشهواتِ، ومن أمراضِ السحرِ والمَسِّ والعينِ والحُمَّىٰ واللدغَات، وغيرِها من الأمراض الحِسّيةِ والمعنوية، ومَنْ أحسَنَ التداوي به بصدقٍ ويقينٍ في بركته؛ نال البركة بإذنِ الله، ومن قصَّر في شروطِ التداوي ولم يجتنبْ موانعَ الشفاء أو تَداوىٰ بغير يقينٍ ولا تصديقٍ فقد عرّضَ نفسه للحرمانِ من نيلِ برَكةِ القرآن.

ومن بركات القرآن الكريم:

- كثرةُ الأجورِ والحسناتِ، ومضاعفةُ الثوابِ ورِفْعةُ الدرجات، لِمَنْ يتلوهُ في الصلاةِ وفي سائر الأوقات، فقد ورد أنَّ أهلَ القرآنِ

---

(١) رواه مسلم (٢١٩٢).

همْ أهلُ الله وخاصَّتُه، وأنَّ قراءة الحرفِ بعشرِ حسنات، وأنَّ قراءةَ آيةٍ خيرٌ من اكتسابِ ناقة، وأنَّ الاجتماعَ علىٰ تلاوةِ القرآن سببٌ لنزولِ السكينةِ والرحمةِ علىٰ المجتمعين لتلاوتِه، وورد أنَّ اللهَ يرفعُ حافظَ القرآنِ في درجاتِ الجنةِ بقَدْرِ ما حَفِظَ في الدنيا، وأنَّ القرآنَ يشفعُ لأصحابه، وأنَّه يُظلُّهم في يومِ النُّشورِ، ويُؤنِسُهمْ عند القيامِ من القبور، وورد أنَّ الماهرَ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكرامِ البرَرَة، وأخبرَ تعالىٰ أنَّ القرآنَ رأسُ التجارةِ التي لا تبور؛ ووعدَ أهلَه بالأجرِ والزيادةِ من فضلِه، فهو الغفورُ الشكور؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠﴾[١].

- وإنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافعٍ ... وأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّلا
- وَخَيْرُ جَلِيسٍ لا يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً
- وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ ... مِنَ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلِّلاً

(١) [سورة فاطر: ٢٩ – ٣٠].

- هُنَالِـكَ يَهْنِيـهِ مَقِـيلاً وَرَوْضَـةً ... وَمِـنْ أَجْلِـهِ فِـي ذِرْوَةِ الْعِـزِّ يُجْتَلَـى
- يُنَاشِـدُ فِي إِرْضَـائِهِ لِحَبِيبِـهِ ... وَأَجْـدِرْ بِـهِ سُـؤْلاً إِلَيْـهِ مُوَصَّـلا
- فَيَـا أَيُّهَـا الْقَـارِي بِـهِ مُتَمَسِّـكاً ... مُجِـلاًّ لَـهُ فِـي كُـلِّ حَـالٍ مُـبَجِّلا
- هَنِيئـاً مَرِيئـاً وَالِـدَاكَ عَلَيْهِمـا ... مَلاَبِـسُ أَنْـوَارٍ مِـنَ التَّـاجِ وَالحُـلاْ
- فَمـا ظَـنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ ... أُولَئِـكَ أَهْـلُ اللهِ وَالصَّـفْوَةُ المَـلا
- أُولُو الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى ... حُلاهُـمْ بِهَـا جَـاءَ الْقُـرَانُ مُفَصَّـلا
- عَلَيْكَ بِهَا مَا عِشْتَ فِيهَا مُنَافِساً ... وَبِعْ نَفْسَكَ الدُّنْيَا بِأَنْفَاسِهَا الْعُلا[١]

ومن بركات القرآن الكريم:

- أنَّ حِفْظَه وقراءتَه والعملَ به سببٌ للعصمةِ من الفتن، وطوقُ نجاةٍ من الضلالِ والمِحَنْ؛ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا أَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[٢].

---

(١) متن الشاطبية = حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع (ص/ ٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٠٠٠) وابن حبان (٤١٣) والطبراني في الأوسط (٤٩١) والبيهقي في =

بل فيه عصمةٌ من أكبر فتنةٍ توجَدُ علىٰ وجهِ الأرضِ، كما جاء فِي حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[1].

قيل: سَبَب ذَلِك مَا فِي أَولهَا من الْعَجَائِب والآيات، فَمن تدبَّرَها لم يفتتن بالدجال وَكَذَا فِي آخرهَا[2].

ومن بركات القرآن الكريم:

- أنه سببٌ للوقايةِ من السحرِ والعين، وحصنٌ من الجنِّ والشياطين، ففيه الرعايةُ والحمايةُ، وبسببه تُنال العنايةُ والكفاية، كما دلَّ عليه حديثُ أبي مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[3].

= الشعب (٢٠١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤) وحسنه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣٨٥٠).

(١) رواه مسلم (٨٠٩).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (٦/ ٩٣).

(٣) رواه البخاري (٣٧٨٦) ومسلم (٨٠٧).

وقوله: «**كَفَتَاهُ**» قيل: مَعْنَاهُ من قيام اللَّيْل. وَقيل: من الشَّيْطَان. وَقيل: من الْآفَات.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَيُحْتَمل من الْجَمِيع »[(١)].

وقد وردَ في قراءة آية الكرسي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِك، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ من أولها حتىٰ تختم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[(٢)].

وفيه: «**لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**»[(٣)].

وفي شأن سورة البقرة؛ قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ. اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا.**

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (٦/ ٩٢).

(٢) [سورة البقرة: ٢٥٥].

(٣) رواه البخاري (٢١٨٧) معلقًا والنسائي في الكبرىٰ موصولًا (١٠٧٢٩). عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ».

قَالَ مُعَاوِيَةُ: «بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ»(١).

فهنيئًا لمن اتّخَذ من القرآنِ حصنًا وحرزًا، وحاز بالعنايةِ به ثوابًا وعِـــزًّا، فنال خيرَ تجارةٍ وأعظمَ كنزًا.

ومن بركاتِ القرآن الكريم:

- أنه شرفٌ لِحَفَظَــتِه وحامليه، وعزٌّ ورفعةٌ لمن اتقىٰ الله فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾(٢).

قال ابنُ قتيبةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: شرَفٌ لكم، يعني القرآن، وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ عن الشكرِ عليه»(٣).

وفي الصحيح أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(١).

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤). من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) [سورة الزخرف: ٤٤].

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص/ ٣٤٤).



ومن بركات القرآن الكريم:

- أنَّ حَمَلتَه أئمةُ الناسِ في الدنيا، والمقدَّمونَ في إمامةِ الصلاة؛ فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ»(٢).

ومن بركات القرآن الكريم:

- أنَّ حاملَه يُقدَّمُ علىٰ غيره في اللحْدِ، كما فعلَ النبيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم مع شهداء أحدٍ؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَىٰ أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ». فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ(٣).

ومن بركات القرآن الكريم:

- أن الحُفَّاظَ لآياتِه هم أرفعُ الناسِ درجاتٍ في الآخرة، إكرامًا مِنَ اللهِ لِمَنْ حفظَ كلامَه؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

= (١) رواه مسلم (٨١٧). عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٦٧٣).

(٣) رواه البخاري (١٢٧٨) والترمذي (١٠٣٦) وابن ماجه (١٥١٤).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً حَتَّىٰ يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ»، وفي لفظٍ: «يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرَأ وارتَقِ، ورتِّل كما كُنْتَ ترتِّل في الدُنيا، فإن منزِلَكَ عندَ آخرِ آية تقرؤها»[١].

قال العلماء: أي: أحفَظهم، فالتفاضلُ في درجاتِ الجنة إنما هو علىٰ حسبِ الحِفظِ في الدنيا، وليس علىٰ حسب قراءتِه يومئذٍ واستكثارِه منها كما توهَّم بعضُهم، ففيه فضيلةٌ ظاهرةٌ لحافظِ القرآن، لكنْ بشرطِ أن يكونَ حِفْظُه لوجهِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليس للدنيا والدرهمِ والدينار، وإلا فقد قال ﷺ: «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»[٢].

ومن بركات القرآن الكريم:

- أنَّ مَنْ أقبلَ علىٰ القرآنِ جعلَ اللهُ في وقتِه البركةَ، وفي أفعالِه التوفيق، قال الضياء المقدسي عن أحدِ شيوخِه: وأوصاني وقتَ

---

(١) رواه أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤) وابن ماجه (٣٧٨٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٢١).

(٢) الكلام للألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٢٨٤). والحديث رواه أحمد (١٧٣٦٧) عن ابن عمرو، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٣).

سفري، فقَالَ: « أَكْثَر من قراءة الْقُرْآن، ولا تتركْهُ فَإِنَّهُ يتيسرُ لَك الَّذِي تطلبُه عَلَىٰ قدْرِ مَا تقرأ. قَالَ: فرأيت ذَلِكَ وجربته كثيراً، فكنتُ إِذَا قرأتُ كثيراً تيسر لي منْ سماعِ الْحَدِيثِ وكتابتِه الكثير، وإذا لَمْ أقرأ لَمْ يتيسرْ لي »[١].

ومن بركات القرآن الكريم:

- ما جرَتِ به العادةُ أنَّ حُفَّاظَ القرآنِ يُبارِكُ اللهُ في صحةِ أبدانهم، وفي عافيةِ عقولِهم، حتىٰ وإنْ تقدَّم بهم العُمُر أو بلغوا من الكِبَرِ عتيًّا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا»، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٢]. قَالَ: إِلَّا الَّذِينَ قَرَءُوا الْقُرْآنَ[٣].

وعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَخرَفْ »[٤].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/ ٢٠٥).

(٢) [التين: ٥-٦].

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم - ط العلمية (٢/ ٥٧٦) رقم (٣٩٥٢).

(٤) العمر والشيب لابن أبي الدنيا (ص/ ٧٥) رقم (٧٩)

وعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: «إِنَّ أَبْقَى النَّاسِ عُقُولًا قُرَّاءُ الْقُرْآنِ»(١).

فحريٌّ بالمسلم أن يُعنىٰ بالقرآن الكريم تلاوةً وحفظًا وتعليمًا وتدبرًا، وعملًا بأوامره واجتنابًا لنواهِيه، وتصديقًا لأخبارِه وتأمُّلًا في آياتِه، حتىٰ يحظىٰ بهذه البركاتِ الكثيرة، والخيراتِ الوفيرة الغزيرة.

أسأل الله تَعَالَىٰ الْقَرِيبَ الْمُجِيبَ أَنْ تَغْمُرَنَا بَرَكَاتُ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ الْمُبَارَكِ، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم والسنة الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحِكَمِ المُنيفة، أقولُ ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٤٠) رقم (٢٩٩٥٦) وشعب الإيمان للبيهقي (٢٧٠٨).

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الذي نزَّل الفرقانَ علىٰ عبدِه، حمدًا يليقُ بجلالِ عظمتِه ورفيعِ مجدِه.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، إلهٌ سَبَّحَ كلُّ شيءٍ بحمدِه.

وأشهدُ أن سيدَنا محمدًا عبدُه ونبيُّه الذي أرسلَه رحمةً للعالمين وأَيَّدَهُ بملائكةٍ من عندِه، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ عليهِ وعلىٰ آلِه وأصحابِه وأنصارِه وجندِه.

أمّا بعد:

فإنَّ بركة القرآن تُنال بمحبتِه وتعَلُّمه وتعليمه، وتلاوةِ حروفه، وتدبُّرِ آياتِه، والعملِ بأحكامِه، والتداوي والاستشفاءِ به، والتأدُّبِ بآدابِه، والتحاكمِ إليه، والإيمانِ بأنه كلامُ اللهِ منزلٌ غيرُ مخلوق، وأنه محفوظٌ بحفظِ الله، وبالدعوةِ إليه، وهذا كلُّه من النُّصحِ لكتابِ اللهِ الوارد في حديث تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ

ﷺ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١).

عباد الله: من الأخطاءِ عند بعضِ الناس أنَّهم يظنون أنَّ بركاتِ القرآن تُنالُ بتعليقِهِ علىٰ الجُدران، أو علىٰ المرضىٰ والصبيان، أو علىٰ ما يُريدون حفظه ووصولَ البركةِ إليه، وهذا عملٌ غيرُ صحيح، لم يَرِدِ الأمرُ به في كتابِ اللهِ ولا في سنة رسول الله ﷺ.

ولقد سئل بعضُ العلماءِ عن حُكمِ تعليقِ آياتٍ من القرآن؟ فأجاب وقال: « وهو يبينُ كيف تُنالُ به بركةُ القرآن: فنيلُ البركةِ من القرآن إنما يكون علىٰ حسبِ ما جاءت به الشريعةُ، وهذا القول - أي: المنع من تعليق آيات القرآن - هو القولُ الراجحُ أنه لا يجوز أنْ تُعلَّقَ التمائمُ من القرآنِ علىٰ الصُّدرِ، ولا أنْ تُجعلَ تحت الوسادة وما أشبه ذلك، ومن أراد أن يستشفيَ بالقرآنِ فليستشفِ به علىٰ حسبِ ما جاءت به السُّنةُ، وأما إذا كانتِ

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

التمائمُ من غيرِ القرآنِ من طلاسمَ لا يُدرىٰ ما معناها، أو كتابةٍ كالنقوشِ التي لا تُقرأ وما أشبهها فإنها محرَّمةٌ، محرمةٌ بلا شكٍّ، ولا يجوزُ للمرءِ أنْ يُعَلِّقَها بأيِّ وجهٍ من الوجوه؛ لأنها قد تكون أسماءَ شياطين، أو أسماءَ عفاريتَ من الجنِّ أو ما أشبه ذلك، والشيءُ الذي لا تدري معناه لا يجوزُ لك أن تَتناوله وتستَعملَه في مثلِ هذه الأمور»[١].

والخيرُ كلُّ الخيرِ في اتباعِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكما قال عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْن الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَتَعَلَّمُوهُ، وَعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَنْهُ تُسْأَلُونَ، وَبِهِ تُجْزَوْنَ، وَكَفَىٰ بِهِ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ»[٢].

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْبَيْتَ لَيَتَّسِعُ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ إِنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَإِنَّ

---

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب للعثيمين (٤/ ٢ بترقيم الشاملة آليا).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص/ ٥٣) ومسند الدارمي رقم (٤٩٣) وشعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٣٠٦) رقم (٥١٩٩).

الْبَيْتَ لَيَضِيقُ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَقِلُّ خَيْرُهُ إِنْ لَا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ»(١).

هذا وصلوا وسلموا علىٰ من أُمرتم بالصلاة والسلام عليه، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، ودمِّرْ أعداءك أعداءَ الدين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا مُطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين.

اللهم اجعلِ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلوبِنا ونورَ صدورنا وجلاءَ أحزاننا، وذهابَ همومنا وغمومِنا، اللهم ذكِّرنا منه ما نُسِّينا، وعلِّمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تِلاوتَه آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار علىٰ الوجهِ الذي يُرضيك عنا، اللهم ألبسنا به الحُللَ، وأسكِـــنَّا

(١) مسند الدارمي رقم (٣٤١٢) وأخرجه ابن أبي شيبة حديث (١٠٠٧٦) وإسناده صحيح. موقوفًا، ولم يصح مرفوعًا.

به الظُّلَل، واجعلنا به عند الجزاءِ من الفائزين، وعند البلاءِ من الصابرين، وعند النعماءِ من الشاكرين، اللهم اجعلنا من أهلِ القرآنِ الذين هم أهلُك وخاصَّتُك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفرْ لمن حضرَ هذه الخطبةَ ولوالديه، وافتح للموعظةِ قلبَه وأُذُنيه، واجعلْ ما سمعه حجةً له لا عليه.

اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقِنا ووالدينا والمسلمين عذاب القبر والنار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾[١].



(١) [الصافات: ١٨٠-١٨٢].





٥ - خطبة جمعة بعنوان/

[عين بكَتْ من خشية الله]

الحمد لله الذي تذِلُّ لعظمَتِه الرقاب، وتهونُ بقُدرتِه الصِّعاب، ويَبكي من خشيته أولوا الألباب.

أحمدُه سبحانه وأشكُرُه، ومن مساوئْ عملي أَستغفرُه، وأستعينُه علىٰ نيلِ الرِّضا، وأستمدُّ لُطفَه فيما قضىٰ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحْدَه لا شريكَ له، أولٌ بلا ابتداء، آخرٌ بلا انتهاء، لا يفنىٰ ولا يَبيدُ، ولا يكونُ إلا ما يُريد، لا تبلغُه الأوهام، ولا تُدرِكُه الأفهام، ولا يُشبهُ الأنام، حيٌّ لا يموت قيّومٌ لا ينام، يَهدي من يشاءُ ويَعصِمُ ويُعافي فضلًا، ويُضلُّ من يشاء ويَخذلُ ويَبتلي عدلًا؛

ما للعبادِ عليهِ حقٌّ واجبٌ — **كلا ولا سعيٌ لديهِ ضائعُ**

إنْ عُذِّبوا فبعدلِه، أو نُعِّموا — **فبِفضلِه، وهو الكريمُ الواسعُ**

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه من خلقِه وخليلُه، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾(١).

من يُطعِ اللهَ ورسولَه فقد رشَد، ومن يعصِ الله ورسولَه فقد غوىٰ، ولا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ اللهَ شيئًا، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾(٢).

أما بعد: فعنوانُ خطبةِ اليوم: [**عينٌ بكت مِنْ خشيةِ الله**].

عبـــادَ الله: لقد أثنىٰ اللهُ علىٰ الأنبياءِ لسجودِهم وبكائهم من خشيتِه عند سماعِ كلامِه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾(٣). قوله: ﴿وَبُكِيّٗا﴾ جمع باكٍ، أخبرَ اللهُ أنَّ الأنبياءَ كانوا إذا سمعوا آياتِ الله سجدوا وبكَوا(٤).

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) [الأنعام: ١٣٤].

(٣) [مريم: ٥٨].

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٢٣٩) [مريم: ٥٨].

وأثنىٰ اللهُ علىٰ أهلِ المعرفةِ لبكائهم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾(١).

وأثنىٰ اللهُ علىٰ العلماءِ لبكائهم من خشية الله: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾(٢).

وعن عبد الأعلىٰ التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «من أوتيَ من العلمِ ما لم يُبْكِه، لخليقٌ أنْ لا يكونَ أوتيَ عِلمًا ينفعُه، لأنَّ اللهَ تعالىٰ نَعَتَ العلماءَ بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾»(٣).

---

(١) [المائدة: ٨٣].

(٢) [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

(٣) مسند الدارمي (١/ ١٤٦) رقم (٢٩٥).

وأخبر اللهُ عن صحابةِ رسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم يبكون لِعجزِهم عن الخروجِ معَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في مَعرِضِ الثناءِ والمدحِ لهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾[1].

هذا الثناءُ علىٰ الذين بكَوا من خشية الله يَدلُّ علىٰ أنها عبادةٌ عظيمةٌ ينبغي لكلِّ مسلمٍ أنْ يَحرِصَ علىٰ تحقيقِها، وأن يسعىٰ في الإتيانِ بها، ولو بالقدرِ اليسيرِ الذي يُخرِجُه من دائرةِ الغافلينَ المُعرضينَ القاسيةِ قلوبُهم، وقد صحَّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضائلُ كثيرة، وبشائرُ متعدِّدةٌ، للذين يبكون من خشيةِ الله سبحانه.

من ذلك: أنَّ الله يُظِلُّهم في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه:** - ومنهم - **رجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[2].

---

(١) [التوبة: ٩٢].

(٢) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

بل إنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بشَّرَ البكَّائينَ من خشيةِ الله أنَّهم لا يَـلِجُونَ النار؛ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يلجُ النارَ رجلٌ بكىٰ من خشيةِ الله حتىٰ يعودَ اللَّبنُ في الضَّرع، ولا يجتمعُ غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنمَ في مِنْخَرَيْ مُسلمٍ أبدًا»** (١).

قال العلماء: « قولُه: **«حتىٰ يعودَ اللَّبنُ في الضَّرع»** هذا من بابِ التعليقِ بالمُحال كقولِه سبحانه: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ »(٢).

وبشَّرَهُمُ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالسلامةِ من العذاب**؛ عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ ذكَر اللهَ ففاضَتْ عيناهُ مِن خشيةِ اللهِ حتَّىٰ تُصيبَ الأرضَ دموعُه لَمْ يُعذِّبْه اللهُ يومَ القيامةِ»** (٣).

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١١) والنسائي (٣١٠٧) وأحمد (١٠٥٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٧٨).

(٢) [الأعراف: ٤٠].

(٣) رواه الطبراني في الأوسط رقم (١٦٤١) والحاكم (٧٦٦٨)، وصححه السيوطي في الجامع =

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «عينانِ لا تمسُّهما النارُ: عينٌ بكتْ من خشيةِ الله، وعين باتَتْ تحرسُ في سبيل الله»[(١)].

قال شُرَّاحُ الحديث: قوله: «عينانِ لا تمسُّهما النار» أي: لا تمسُّ صاحبَهما، فعبَّرَ بالجزءِ عن الجُملة، - أي: أنهم لا يدخلون النار - وعبَّرَ بالمسِّ إشارةً إلىٰ نفيِ ما فوقَه، فمِنْ باب أولىٰ أنْ لا يُعَذَّبوا فيها.

وبشَّرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البكائينَ من خشيةِ اللهِ بطوبىٰ أو دعا لهم بها: فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طوبىٰ لمن مَلَك لسانَه، ووسِعَه بيتُه، وبكىٰ علىٰ خطيئتِه»[(٢)].

وأخبرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ البكاءَ من خشيةِ الله سببٌ من أسبابِ النجاة، قال عقبة بن عامر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

= الصغير (٨٦٥٥) وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٩٠).

(١) رواه الترمذي (١٦٣٩) والبيهقي في الشعب (٧٩٦) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٣٩).

(٢) رواه الطبراني في "الأوسط" و"الصغير" وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٣٢).

يا رسول الله، ما النَّجَاةُ؟ قَالَ: «امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ»(١).

وهكذا كان صحابةُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدركون هذا المعنىٰ، فقد خطَبَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا وقال: «لو تَعلمونَ ما أعلم لضحكتمْ قليلًا ولبكيتمْ كثيرًا» فما أتىٰ علىٰ أصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومٌ أشدُّ منه. قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «غَطَّوا رؤوسهم ولهم خَنينٌ» (٢).

وعن الْعِرْبَاض بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «قام فينا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ يومٍ، فوعظَنا موعظةً بليغةً، وجِلَتْ منها القلوبُ، وذرَفت منها العُيونُ» (٣).

بل إنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أحوالٌ كثيرةٌ في البكاءِ من خشيةِ الله، فمن ذلك؛ أنه قال لابنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يومًا:

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٦) وقال: هذا حديث حسن. وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٣٣١).

(٢) رواه مسلم (٢٣٥٩). من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٠).

«اقرأْ عليَّ القرآن». قال: أَقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزِلَ؟ قال: «إنِي أَشتهي أن أَسمعَه مِنْ غيري». فقرأَ عليه سورةَ النساءِ حتىٰ إذا بَلغ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[1]. قال له: «كُفْ»، أو «أَمسِكْ» قال: فنظرتُ إليه، فرأيتُ عينيه تذرِفان[2].

وقال عبدُ الله بنُ الشِّخِّيرِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «رأَيْتُ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يومًا يُصلِّي، ولِصَدرِه أزيزٌ كأزيزِ المِرجَلِ مِن البكاءِ»[3].

وقال البراءُ بنُ عازبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كنا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في جَنازةٍ، فجَلسَ علىٰ شَفيرِ القبرِ، فبكىٰ، حتىٰ بلَّ الثَّرىٰ، ثم قال: يا إخواني لمثلِ هذا فأَعِدُّوا»[4].

---

(١) [النساء: ٤١].

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٥) ومسلم (٨٠٠).

(٣) رواه أحمد (١٦٣١٢) وأبو داود (٩٠٤) والنسائي (١٢١٤) وابن حبان (٧٥٣) وصححه العلامة ابن رجب في فتح الباري (٤/ ٢٤٥).

(٤) رواه ابن ماجه (٤١٩٥). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٣٣٨).

وهكذا في ليلةِ بدرٍ قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كان فينا فارسٌ يومَ بدرٍ غيرُ المقداد، ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائمٌ، إلا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت شجرةٍ يُصلِّي ويَبكي، حتى أَصْبَح»(١).

وهكذا كان صحابةُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعدِه، فأبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يُصلي بِفِناء دارِه ويقرأُ القرآنَ، فيقفُ عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكرٍ رجلًا بَـكَّاءً، لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزعَ ذلك أشرافَ قريشٍ من المشركين، فأتوا من أجارَه - ابنَ الدَّغِنَة - وطلبوا منه أن يطلبَ من أبي بكر أن يكفَّ عن الصلاة بفِناءِ دارِه(٢).

ولما احتُضر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مُروا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالناس». فقيل له: إن أبا بكر رجلٌ أسيفٌ، إذا قام في مقامِك، لم يُسمعِ الناسَ من البُكاء(٣).

---

(١) رواه أحمد (١٠٢٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٤٥).

(٢) رواه البخاري (٤٧٦). من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) رواه البخاري (٦٦٤) ومسلم (٤١٨) (أسيف) أي: سريع البكاء والحزن. وقيل: هو الرقيق.

وهكـذا كـان عمـرُ وعثمـانُ وعلـيٌّ وسـائرُ صـحابةِ النبـيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانت قلوبُهم رقيقةً، وأعينهُم جاريةً بالدموعِ مـن خشيةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[١].

قلتُ ما سمعتم، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أما بعد: فإنَّ دوافعَ البكاءِ من خشيةِ الله كثيرةٌ؛ فقد يكونُ البكاءُ خوفًا من عذابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وقد يكون ندَمًا علىٰ ما مضىٰ من التقصيرِ، وقد يكونُ وجَلًا علىٰ عَـــدَم قبولِ الأعمالِ، وقد يكونُ شوقًا إلىٰ لقاءِ اللهِ تعالىٰ، وقد يكونُ رجاءً في رضوانِ اللهِ وجنَّتِه، وقد يكون شوقًا إلىٰ رؤيةِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد يكونُ من بابِ شكرِ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والشعورِ بالرضا عن عَطائه ونِعَمِه، وله دوافعُ كثيرة، وكلٌّ منها محمود، وهدفٌ مقصود.

ولْيَحْذَرِ المسلمُ بكاءَ النفاقِ، وهو أنْ يتظاهرَ بالبكاءِ من خشيةِ الله عَزَّوَجَلَّ مع خُلوِّ القلبِ عن ذلك، فإنَّ هذا مَزلَقٌ خطير، ينبغي لكلِّ عاقلٍ أنْ يحذَرَه ويجتنبَه، بل ينبغي له أنْ يُخفِي البكاءَ ما استطاع، وأنْ يَبكيَ من خشيةِ الله في خَلَواتِه، فإنْ غلبَه بدونِ

تكلُّفٍ واصطِناع، فإنَّ ذلكَ مَعْفوٌ عنه، وقد سمعَ الحسنُ البصريُّ رجلًا يبكي، فقال الحسنُ: « إنْ كان للهِ فقد شَهرتَ نفسَكَ، وإن كان لغيرِ اللهِ هلكتَ! »[١]. وسمِعَ رجُلًا يَبكي يومًا فقال: « لَيَسْأَلَنَّكَ اللهُ يومَ القيامةِ ما أردتَ بهذا »[٢].

وسمع بعضُ السلفِ رجلًا يدعو ويَبكي في المسجدِ، فَقَالَ لَهُ: « أَنْتَ أَنْتَ لَوْ كَانَ هَذَا فِي بَيْتِك »[٣].

وقد سمَّىٰ العلماءُ التظاهرَ بالبكاءِ رياءً ببكاءِ النفاق:

حَسْبُ المُرائين غَبْناً أنهمْ غَرَسُوا ... وما جَنَوْا، ولَقُوا كَدّاً وإزعاجاً
وأنهمْ حُرِموا أجراً ومَحْمِدَةً ... وأَلْحَموا عِرضَهُمْ مَنْ عابَ أَوْ هاجا
أُخيَّ فابغِ بما تُبديهِ مِنْ قُرَبٍ ... وجهَ المُهيمِنِ؛ ولاَّجاً وخَرَّاجا
فليس تخفى على الرحمنِ خافيةٌ ... إنْ أخلصَ العبدُ في الطاعاتِ أوْ داجَا
وبادِرِ الموتَ بالحُسنى تُقَدِّمُها ... فما يُنَهْنَهُ داعي الموتِ إنْ فاجا[٤]

---

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (١٥٧) والإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص/ ٦٤) رقم (٤٤).

(٢) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (١٥٦).

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك (ص/ ٥٠) رقم (١٥٦). والذي نهاه هو أبو أمامة الباهلي الصحابي.

(٤) مقامات الحريري (ص/ ٢٣٤) المقامة الحادية والثلاثون= الرَّمْليّة.

أيها الإخوة المؤمنون: إنَّ البكاءَ من خشية الله له أسبابٌ كثيرة، من أعظمِها وأشهرِها وأظهرِها العلمُ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبعظمتِه، وبأسمائه وصفاتِه، والتدبُّـــرُ لآيات القرآن الكريم، وصلاحُ القلبِ. فينبغي لكل عاقلٍ أنْ يتفقَّدَ قلبَه، ولْيَعلمْ من مرَّتْ عليه الشُّهورُ والأعوام، وتتابعتْ عليه الأسابيعُ والأيام، ولم تنْزِلْ دمعتُه من خشيةِ الله عَزَّوَجَلَّ، أنه في قُصورٍ كبير، وفي غفلةٍ شديدة، فعليه أن يسعىٰ في سلامةِ قلبِه، ولْيحرِصْ علىٰ مَرضاةِ ربِّه، ولينظرْ ما هذا الجفاء الذي يَعيشُه، فإن العلماءَ قد نصُّوا علىٰ أنَّ جمودَ العينِ وجفافَها يدلُّ علىٰ قسوةِ القلب، وعلىٰ الغفلةِ التي يُذمُّ عليها صاحبُها.

اللهم إنا نسألُك الهُدىٰ، والتقىٰ، والعفافَ، والغِنىٰ، اللهم أَرِنا الحقَّ حقًا وارزقنا اتباعه، وأرِنا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابَه، اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم انصرْ من نصرَ الدين، واخذل من يخذلُ المسلمين، اللهم اجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين، اللهم إنا نعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن

قلبٍ لا يخشع، ومن عينٍ لا تدمع، ومن نفْسٍ لا تشبع، اللهم توفَّنا مسلمين وألحِقنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالِدينا أجمعين، اللهم صلِّ وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.





٦ - خطبة جمعة بعنوان/

[حُكْمُ تعليقِ التمائم وبيانُ أنواعِها]

الحمدُ لله الذي أمَر بالتوكُّل عليه، وحثَّ علىٰ تفويضِ الأُمورِ إليه، أحمدُهُ حمداً ممدوداً مَدَاهْ، وأُوحِّدُهُ كما وحَّده الأوَّاهْ(١)، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ شهادةَ مُوَحِّدٍ مُسْلِمْ، وأدعوه دعاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّمْ.

أيا غافرَ الذنبَ العظيمَ وساترَهْ ويا مَنْ له ذَلَّت رقابُ الجبابِرهْ

فَعلتَ بنا مِنْ أوّلِ الأمرِ كلِّه جميلاً، فأتْبِعْ أوّلَ الأمرِ آخِرَهْ

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، بعثَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليُظهره علىٰ الدين كله، صلىٰ اللهُ وسلَّم عليه صلاةً مُستَمِرَّة الدوام، جديدةً علىٰ مَرِّ الليالي والأيام.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في الأقوالِ، والأعمالِ، والاعتقاداتِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾(٢).

(١) المراد بالأواه (إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ).

(٢) [سورة آل عمران: ١٠٢].

أيها المؤمنون الكِرام: تعلمون - سلَّمكم الله -؛ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أمرَنا بالتوكُّلِ عليه، وحثَّ عبادَه علىٰ تفويضِ أُمورِهِمْ إليه، ونهاهم عن التعلُّقِ بغيرِهِ - سبحانه - في جَلبِ المَنافع، أو دَفعِ المَضارّ، **قال** الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾(١)، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾(٣)، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾(٤).

---

(١) [سورة التوبة: ٥١].

(٢) [سورة الزمر: ٣٨].

(٣) [سورة الأنعام: ١٧].

(٤) [سورة يونس: ١٠٧].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

ولا ننسى يا عبادَ الله ؛ أن نُنبِّهَ علىٰ أمرٍ هامٍّ يقعُ فيه كثيرٌ من المسلمين، مما تَوارثُوه من العاداتِ القديمةِ التي أنكرَها الشرعُ الحَنيفُ، ألا وهي التعلُّقُ بالتمائمِ التي يُعَلِّقُها بعضُ الناسِ علىٰ أنفُسِهم، أو علىٰ أولادِهم، أو علىٰ دوابِّهم، أو علىٰ مركباتِهم، أو علىٰ بُيوتِهم، أو علىٰ أيِّ شيءٍ من ممتلكاتِهم.

فبعضُ الناس يُعلِّقُ كلامًا مكتوبًا في ورقٍ، أو في جِلدٍ، أو في خِرَقٍ، أو يعلقُ وَدَعًا، أو خَيطًا، أو يضعُ مِلْحًا، أو حديداً، ولربما علَّق بعضُهم حِذاءً - أكرمكم الله - وقد رأينا هذا بأعيننا علىٰ بعضِ السيارات.

عباد الله : إنَّ تعليقَ هذه الأشياءِ من الناسِ على نوعين:

إمَّا أنْ يكونَ لأجلِ التوقِّي من شرٍّ يخافون وقوعَهُ، كالعينِ، وأَذيَّةِ الشياطينِ ونحوِ ذلك.

أو أنهم يُعَلِّقُونها من أجلِ دَفْعِ شرٍ قد وقَع، وهذا غالبًا ما يحصلُ عند مَنْ أُصيبَ بمَرَضٍ.

وكلا الأمرينِ حرامٌ يا عباد الله، وأمَّا إنْ صَحِبَه تعلُّقٌ بهذه الأشياءِ وأنها تنفعُ مباشرةً من دون الله، وليسَتْ مجرَّدَ سببٍ، فهذا خطرٌ عظيم يقعُ أصحابُه في الشِّركِ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإنْ علقوها مع اعتقادِ أنَّ النفعَ والضُّرَّ بيد الله، ولكنها أسبابٌ فإنَّ هذا من كبائرِ الذنوب أيضًا؛ لأنهم شرَّعوا لأنفسِهم سببًا لم يشرَعْهُ الله عَزَّوَجَلَّ، ولا رسولُه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، واتَّخذوا شيئًا ليس مأذونًا فيه، والأدلةُ علىٰ تحريمِ هذا كثيرةٌ جداً، ومنها: حديثُ أبي بَشيرٍ الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ. قَالَ: فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَسُولًا - وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ - «**لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ، إِلَّا قُطِعَتْ**».

قَالَ مَالِكٌ: «أرىٰ ذلك من العين»[1].

وتأوَّلَ مالكٌ أمرَه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بقطعِ القلائدِ علىٰ أنه من أجلِ العينِ، وذلك أنهم كانوا يشدُّون تلك الأوتارَ والتمائمَ

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٣) ومسلم (٢١١٥).

ويُعَلِّقُون عليها العُوَذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها وأعلمهم أنها لا تَرُدُّ من أمرِ الله شيئًا[١].

وقال أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ: « كانوا يُقَلِّـدون الإبلَ الأوتارَ، لئلا تُصيبها العينُ، فأمرهمُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإزالتِها إعلامًا لهم بأنَّ الأوتارَ لا تُرُدُّ شيئًا »[٢].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: «إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً» فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[٣].

وقد أفادَ هذا الحديثُ أنَّ تعليقَ التمائمِ يضرُّ بصاحبِه من ناحيةِ الصحةِ، فإنه يُضعفُ هِمَّــتَهُ، ويوكِلُه إلىٰ الأمر الذي عَلَّقه، ويدلُّ علىٰ هذا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[٤].

---

(١) شرح السنة للبغوي (١١/ ٢٧).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٤/ ٩٦).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٧٤٢٢) وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٧٢) وأحمد (١٨٧٨٦) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٧٢). عن أَبِي مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ.

بل قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»(١).

فأفادَ الحديثُ أنَّ التعليقَ يزيده ضرراً في الدنيا، وإذا مات علىٰ ذلك، مات علىٰ غير هُدىٰ، ولذلك قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرجلٍ أَبْصَرَ عَلَىٰ عَضُدِهِ حَلْقَةً، أُرَاهُ قَالَ: مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»(٢).

وعلىٰ هذا كان صحابةُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقد دخل بعضُهم عَلَىٰ أَبِي مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ يعُودُهُ فَقُال له: أَلَا تُعلِّقُ شَيْئًا؟ قَالَ: الْمَوْتُ أَهونُ مِنْ ذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠٤) والطبراني في مسند الشاميين (٢٣٤) وصححه ابن باز. عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠٠٠) وابن ماجه (٣٠٣١)، وابن حبان (٦٠٨٥)، والطبراني في الكبير (٣٩١) عَن عمرَان بن حُصَيْن.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٩٦٠). وأخرجه الترمذي (٢٠٧٢) وأحمد (١٨٧٨٦) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٧٢).

بل إنَّ حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دخلَ عَلَىٰ مَرِيضٍ فَرَأَىٰ فِي عَضُدِهِ سَيْرًا فَقَطَعَهُ أَوِ انْتَزَعَهُ، ثُمَّ قَرَأَ قولَه تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾[١].

وأمَّا إنْ كان ما يُعلَّقُ مكتوبـًا من القرآنِ الكريمِ، أو الأدعيةِ والأذكارِ، وليس بودَعٍ، ولا خيطٍ ولا نحو ذلك، فإنَّ هذا أيضـًا لا ينبغي فِعلُه؛ لأنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يَشْرَعْهُ، ولم يَأْذَنْ فيه، وقد أنكرَه عامَّةُ صحابةِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وممن قال بتحريمِه من الصحابة: ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ وحذيفةُ وعقبةُ بنُ عامرٍ وابنُ عُكيمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعـًا.

وكذلك نهىٰ عنه التابعون الأخيار، قَال إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ القرآن»[٢]، يعني: أصحابَ عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كعلقمةَ والأسود ومسروق وعبيدة السلمانيِّ وغيرِهم، والكراهةُ هنا للتحريم.

---

(١) [سورة يوسف: ١٠٦]. والأثر في تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٨).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٠١١) والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٨١).

وقال أحمدُ ابنُ حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يُكرَهُ التعليقُ كلُّهُ ».

عباد الله : إنَّ تعليقَ شيءٍ من كلامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فيه امتهانٌ للقرآن، فإنَّ الذي علَّقها لا يخلو من الحاجةِ إلىٰ قضاءِ حاجتِه، أو أنْ يُصيبَها بأيِّ نوعٍ من الامتهان، عند النومِ وغيره، وفيه فتحُ مجالٍ للذين يتَّجِرُون بهذه الأشياء، ويَكْذِبون علىٰ عبادِ الله سبحانه، بل فيه إضرارٌ بعقيدةِ الذي تعلَّق بهذا الشيء، فلو دُفِعَ عنه ضررٌ، لربما اعتقدَ أنه بسببِ هذا التعليقِ، ويَكفي في ذمِّه وتركِهِ أنه لمْ يأذنِ اللهُ فيه، ولم يشْرَعْه محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتىٰ وإنِ اعتقدَ أنَّ النفعَ والضُّرَّ بيد الله، فلو كان هذا الفعلُ خيرًا لأَمرَ به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودلَّ عليه.

فينبغي يا -عبادَالله- أنْ يبتعدَ الناسُ عن التمائمِ بأنواعِها وأشكالِها، صيانةً للتوحيد، وسلامةً للعقيدة، وتوكلًا علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[1].

---

(١) [سورة النساء: ٨١].

بارك الله لي ولكم في القرآنِ والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحِكمة.

أقولُ ما سمعتم وأستغفرُ الله، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً لا يَنْفَد، أفضلَ ما يَنبغي أن يُحمد، وصلىٰ الله وسلم علىٰ أفضلِ المُصطَفَين محمد، وعلىٰ آله، وأصحابه ومن تعبَّد.

أما بعد:

فقدْ بيَّنَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ كلَّ فعلٍ ينافي التوكلَ علىٰ اللهِ ويخالفُ تعاليمَ الإسلامِ فإنَّ رسولَ الله منه بريء، ألا وإنَّ من تلك المخالفاتِ التي حذَّر منها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي تعليقُ التمائمِ بأنواعِها، فعن رُويفِع بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**يا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِك بَعْدِي، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوْ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**»(١).

---

(١) أخرجه النسائي (٥٠٦٧) وأبو داود (٣٦) وأحمد (١٦٩٩٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩١٠).

والمقصودُ سلَّمَكمُ اللهُ وحفظكم؛ أن نجتنبَ التمائمَ بكل أشكالها، وألوانِها، فلا يليقُ بمسلمٍ عاقلٍ متوكِّـلٍ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يعتقدَ في خِرقة أو ورقةٍ، أو حذاءٍ - أكرمكم الله - أو ملحٍ، أو حديدةٍ أنْ تَدفعَ عن بيتِه العينَ والضرَّ، أو عن سيارتِه الحوادثَ، أو عن ولدِه ما يضره من العين والمسِّ ونحو ذلك.

ثم يا عباد الله؛ لنتذكرَ أنَّ التَّعَـــلُّق بالتمائمِ خللٌ في التوحيدِ والعقيدة، ونقصٌ في العقل والتفكير، إذ كيف يلجأُ من أعطاه اللهُ العقلَ ووهبَه الحواسَّ التي يُميزُ بها بين النافعِ والضارِّ إلىٰ تعليقِ جمادٍ أو تعلُّقٍ بمخلوق!

فالمؤمن يتوكلُ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يتعلقُ بمثل هذه الأشياء، وإنْ أراد أنْ يحتاطَ لنفسِه، فليأخذْ بالأسبابِ المشروعةِ التي شرعها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وبينها النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في سُنَّتِه، ومن تأمَّـلَ فضلَ وجزاءَ مَنْ قرأَ البقرةَ، وآيةَ الكرسي، والمعوِّذتين، وبعضَ الأذكار، اطمأنَّ قلبُه واستراح، وعلِم أنَّ فيها غُـنيةً وقوةً، وحصنًا ومنعةً، فلا يَحتاجُ معها إلىٰ غيرِها أبداً.

فعلينا - معشرَ المسلمين - أنْ نُحاربَ هذه الخرافات، ونُحذِّرَ غيرنا من تلك التصرفات، وأن نُـنكرَها بأيدينا في بيوتنا، وبألسِنتنا وأقلامِنا في مجتمعاتِنا، فإنَّ هذا من الدعوة إلىٰ تحقيقِ التوحيد، ومن إنكارِ المنكر، وهذا من الأهمية بمكان.

ولا يسقطُ هذا الحقُّ عن كلِّ من يستطيعُ الكلامَ أو الكتابةَ؛ لأنَّ هذا من الحفاظِ علىٰ جَناب التوحيد، وعلىٰ عقيدةِ المسلمين إذْ كيف يَـتعلَّـقونَ بمثلِ هذه الأشياء!

وإنك لتعجبُ عند أن ترىٰ بيتًا كالقصر، وعليه قطعةُ قُماشٍ أو بعضُ الخيوطِ والخَرَزِ، أو سيارةً قد عُـلِّـقَ عليها قطعةُ من حذاءٍ أو رأس طير من أجلِ أن تدفعَ عنها العينَ! أهكذا تُشكرُ نعمُ الله؟ بالتعلُّقِ بغيرِهِ سبحانَه، ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾[1].

فهذا التعليقُ لا يليقُ بعاقلٍ، فضلًا عنْ أنْ يفعلَه مسلمٌ موحدٌ، يُؤمنُ بأنَّ النفعَ والضرَّ بيد الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) [الواقعة: ٨٢].

ألا يا عباد الله: فلْنَحْذرْ من تعليقِ أيِّ نوعٍ من أنواعِ التمائمِ، ولْنُحَذِّرْ غيرَنا من الخرافاتِ بأنواعِها، ولْنَحُثَّ الكبارَ والصغارَ على التعلُّقِ بالله عَزَّوَجَلَّ، وتركِ التعلُّقِ بغيرِه سبحانه.

اللهم إنا نسألك الهُدىٰ، والتُّقىٰ، والعفافَ، والغِنىٰ، اللهم أرِنا الحقَّ حقًا وارزقنا اتباعه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم انصرْ من نصرَ الدين، اللهم اخذلْ من يخذلُ المسلمين.

اللهم اجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا رخاءً، وسائرَ بلاد المسلمين.

اللهم إنا نعوذُ بك من الفتنِ ما ظهر منها وما بطن.

اللهم إنا نعوذ بك من فتنِ الدين والدنيا، اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصاحين، واغفرْ لنا ولوالدينا أجمعين.





٧ - خطبة جمعة بعنوان/

[أضرارُ الحسد على الدين والعقل والجسد]

الحمدُ للهِ الذي يَقسِمُ الأرزاقَ بعدلِه وحِكمتِه، ويَهبُ الصلاحَ والأخلاقَ بفضلِه ورحمتِه، أحمدُه علىٰ ما أسبَغَ من العَطاء، كما أحمدُه علىٰ ما أسبلَ من الغِطاء.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، أولٌ بلا ابتداء، آخرٌ بلا انتهاء، لا يفنىٰ ولا يَبيد، ولا يكونُ إلا ما يُريد، لا تبلغُه الأوهام، ولا تُدرِكُه الأفهام، ولا يُشبهُ الأنام، حيٌّ لا يموت، قيُّومٌ لا ينام.

يَهدي من يشاءُ ويَعصِمُ ويُعافي فضلًا، ويُضلُّ من يشاءُ ويخذلُ ويبتلي عدلًا:

مَـا لِلْعِبَـادِ عَلَيْـهِ حَـقٌّ وَاجِـبٌ ... كَـلا وَلا سَـعْيٌ لَدَيْـهِ ضَـائِعُ

إِنْ عُـذِّبُوا فَبِعَدْلِـهِ، أَوْ نُعِّمُـوا ... فَبِفَضْلِهِ وَهُـوَ الْكَـرِيمُ الْوَاسِـعُ

وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، خاتمُ الأنبياء، وإمامُ الأتقياء، وسيدُ المرسلين، وخليلُ ربِّ العالمين، فصلواتُ الله وسلامُه

عليه، وعلىٰ آلِهِ الكُرماء وأصحابِهِ الرُحمَاء، ما همَرَ رُكام، وهَدَرَ حمَام، وسَرَحَ سوام، وسَطَا حُسام.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله في السر والعلن، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَىٰ، ولَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللهَ شَيْئًا.

عباد الله: إنَّ الحسدَ من الأمراضِ الفتاكة، والأدواءِ الهتَّاكة، تفتِك بمروءةِ الشخصِ وتهتكُ صفاءَه ونقاءه، ولمَّا كان الحسدُ من أسوأ الشرورِ وأقبحِ الأمورِ أمرَ اللهُ بالاستعاذةِ منه، وجعله خاتمةَ ما يُستعاذُ منه في سورة الفلق.

وَحَقِيقَةُ الْحَسَدِ؛ هو شِدَّةُ الْأَسَىٰ عَلَىٰ الْخَيْرَاتِ التي تَكُونُ لِبعض النَّاسِ الْأَفَاضِلِ وَهُوَ غَيْرُ الْمُنَافَسَةِ، وَرُبَّمَا غَلِطَ قَوْمٌ فَظَنُّوا

(١) [آل عمران: ١٠٢].

أَنَّ الْمُنَافَسَةَ فِي الْخَيْرِ هِيَ الْحَسَدُ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا ظَنُّوا؛ لِأَنَّ الْمُنَافَسَةَ طَلَبُ التَّشَبُّهِ بِالْأَفَاضِلِ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ.

وَالْحَسَدُ مَصْرُوفٌ إِلَىٰ الضَّرَرِ؛ لِأَنَّ غَايَتَهُ أَنْ يَعْدَمَ الْأَفَاضِلُ فَضْلَهُمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيرَ الْفَضْلُ لَهُ، فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ. فَالْمُنَافَسَةُ إِذًا فَضِيلَةٌ؛ لِأَنَّهَا دَاعِيَةٌ إِلَىٰ اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالِاقْتِدَاءِ بِأَخْيَارِ الْأَفَاضِلِ[١].

وفي الحسدِ ضررٌ علىٰ الدينِ والعقلِ والجسد، فأمَّا ضررُه علىٰ دينِ الحاسد فبأمورٍ كثيرة، ومنها: أنَّ الحاسدَ مُتشبِّهٌ باليهودِ في الاتصافِ بهذه الصفةِ الذميمة، فالحسَدُ - يا عبادَ الله - من صفاتِ اليهودِ وخصالِهِمُ التي ذمَّهمُ اللهُ عليها، قال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾[٢].

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص/ ٢٧٠).

(٢) [البقرة: ١٠٩].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ويعني جلَّ ثناؤه بقولِهِ: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾، أنَّ كثيرًا مِنْ أهلِ الكتابِ يودُّونَ للمؤمنينَ ما أخبرَ اللهُ جلَّ ثناؤهُ عنهم أنَّهُمْ يودُّونَه لهم، من الرِّدّةِ عن إيمانِهِمْ إلىٰ الكُفْرِ، حَسَدًا منهُمْ وبَغْيًا عليهِمْ »[١].

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾[٢].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ قَالَ: « قَدْ عَرَفُوهُ وَلَكِنَّهُمْ حَسِدُوهُ »[٣].

وقال تعالىٰ عن اليهود: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾[٤].

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث (٢/ ٥٠٠).

(٢) [المؤمنون: ٦٩].

(٣) تفسير سفيان الثوري (ص/ ٢١٧). وذكره الخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص/ ٣٤٤) عن أبي صالح.

(٤) [النساء: ٥٤].

ومعناه: بَلْ أَيَحْسُدُونَ النَّاسَ، وهنا يعني به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذْ كانتِ اليهودُ قد حسِدَته علىٰ ما آتاه الله من النُّبوةِ، وهم قد علِمُوا أنَّ النبوَةَ في آلِ إِبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقيل لهم: أتحسُدونَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد كانتِ النبوةُ في آلِه وهم آل إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[1].

وبيّنَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الحسدَ مما دبَّ إلىٰ هذه الأمةِ من آفاتِ الأُممِ السابقة، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنَّهَا تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكَ لَكُمْ: أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[2].

فالحسدُ من صفاتِ اليهود وأخلاقِهم، ولا ينبغي لمسلمٍ أن يتشبَّهَ بهم فيما عِيبَ عليهم ونهوا عنه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٦٤).

(٢) رواه أبو دواد (١٩٠) وأحمد (١٤١٢) والترمذي (٢٥١٠) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥١٠) وصحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨٨) من حديث الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والحسدُ أيضًا من صفاتِ المنافقين، قال تعالىٰ عن حَسَدِ المُنافقين للمؤمنينَ علىٰ إيمانِهم، وكيف يتمنَّونَ أنْ يَكفرَ المؤمنونَ باللهِ ورسولِه: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾(١).

فالضميرُ في ﴿وَدُّواْ﴾ عائدٌ علىٰ المُنافقين، وهذا كَشفٌ منَ اللهِ لِخُبْثِ مُعتقدِهم، وتحذيرٌ للمؤمنين منهم. والمعنىٰ تمنَّوا كُفْرَكُم، وهي غايةُ المصائبِ بكم، وهذا الوَدُّ منهم يُحتمل أنْ يكونَ عن حسَدٍ منهم لهم علىٰ ما يرون للمؤمنين من ظهور في الدنيا(٢).

وفي الحسَدِ ضررٌ علىٰ دينِ الحاسدِ لأنه مُرتكبٌ لِمَا حرَّم الله، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾(٣). قيل في قوله: ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ أي: **الحسد**(٤).

ومن أضرارِ الحسد؛ أنه علامة علىٰ قلةِ الخيرِ في الناس، وقد بيَّن النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ شُؤمَ التحاسدِ وأنه مُؤذِنٌ بذهابِ الخيرِ

---

(١) [النساء: ٨٩].

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٨٩).

(٣) [الأعراف: ٣٣].

(٤) الرسالة القشيرية (١/ ٢٨٨).

عن الناسِ فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا**»[١].

ومن أضرارِ الحسدِ أنَّه يُنافي كمالَ الإيمانِ، فلا يجتمعُ الحسدُ والإيمانُ الكاملُ في قلبٍ أبدًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفَيْحُ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الإِيمَانُ وَالْحَسَدُ**»[٢].

وقد عدَّ العلماءُ الحسدَ من أصولِ الشر وأسبابِ المعاصي، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أصولُ الشرِّ وفروعُه سِتةٌ: فالأصولُ الثلاثةُ: الحسدُ، والحِرصُ، وحُبُّ الدنيا، والفروعُ كذلك: حبُّ الرياسةِ، وحبُّ الثناءِ، وحبُّ الفَخْر »[٣].

---

(١) رواه الطبراني (٨١٥٧) عن ضَمْرَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨٧).

(٢) رواه ابن حبان (٣٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨٦).

(٣) العقد الفريد (٢/ ١٧٣).

وقال بعضُ السلف: « الحسَدُ والحِرصُ دعامتا الذنوب؛ فالحرصُ أخرجَ آدمَ من الجّنةِ، والحسدُ نقَلَ إبليسَ عن جوارِ اللهِ »[١].

فالحسدُ - يا عباد الله - فيه ضررٌ كبيرٌ علىٰ دينِ العبدِ فهو عصيانٌ للهِ ولرسولِه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه اعتراضٌ علىٰ عطاءِ اللهِ سبحانه، وامتعاضٌ من تفضيلِ اللهِ بعضَ عبادِه علىٰ بعضٍ، ولا يليقُ بمخلوقٍ أنْ يُعارضَ قضاءَ خالقِه سبحانَه:

ألا قُلْ لِمَنْ كانَ لي حاسدًا ... أتدري على من أسَأتَ الأدَبْ
أسأتَ على اللهِ في فِعلِهِ ... لأنَّكَ لم ترضَ لي ما وَهَبْ
فجازاكَ عنِّي بأنْ زادني ... وسَدَّ عليكَ وُجوهَ الطَّلَبْ[٢]

ومن أضرارِ الحسدِ أنه يجرُّ إلىٰ ذنوبٍ وآفاتٍ أكبرَ منَ الحسدِ نفسِه، ولذلك قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي الحَسَدِ: إنه أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ أَمَّا فِي السَّمَاءِ فَحَسَدَ إِبْلِيسُ آدَمَ

---

(١) درر الحكم لأبي منصور الثعالبي (ص/ ٤٧). والقول لابن المقفع رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) شعب الإيمان (٥/ ٢٧٦) وتاريخ بغداد - ت بشار (١٥/ ٣٠٨).

عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ، وَأَمَّا فِي الأَرْضِ فَحَسَدَ قَابِيْلُ أَخَاهُ هَابِيْلَ لَمَّا تُقُبِّلَ مِنْهُ القُرْبَانُ حَتَّىٰ قَتَلَهُ(١).

أمَّا خبرُ عصيانِ إبليسَ فمعروفٌ، وأما خبرُ ابني آدم وما سبَّبَهُ الحسدُ للحاسدِ منهما حتىٰ قَتَلَ أخاه فقد قصَّه الله في كتابِه، فقصته مذكورةٌ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾(٢).

كان هابيلُ صاحبَ غَنَمٍ فنظرَ إلىٰ خيرٍ كثيرٍ فتقرَّبَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ونظرَ قابيلُ إلىٰ شرِّ قَمْحِهِ – وكانَ صاحبَ زَرْعٍ – فتقرَّبَ به إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فنزلتْ نارٌ من السماءِ فاحتملَتْ قربانَ هابيل، ولم تحمِلْ قُربانَ قابيل، فعلِمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ قد قبِلَ من أخيهِ ولم يقبلْ منه فحسِدَهُ، وهو قوله: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ﴾ هابيلُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾

---

(١) الدر الفريد وبيت القصيد (٦/ ٨٨).

(٢) [المائدة: ٢٧].

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: قال له هابيلُ: إنَّما يتقبلُ اللهُ ممّن كان زاكي القلب. والمعنىٰ: من المتقينَ للمعاصي.

وقولُه جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ يقولُ هابيل لأخيه: لئن بدأتني بالقتلِ فما أنا بالذي أبدَؤك بالقتلِ، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في قتلِك ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ أي: تحتملَ إثمَ قتلي وإثمَك الذي كان منك قبلَ قتلي[1]. وقيل: معناه ترجعَ إلىٰ اللهِ بإثمِ قتلي وإثمِك الذي من أجلِه لم يَتقبلْ قربانَك[2]، ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ بالإثمين، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: يريد: إنَّ جهنمَ جزاءُ مَنْ قتلَ أخاه ظُلمًا.

وقولُه جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ معناه: شجَّعتهُ نفسُه علىٰ قتلِ أخيهِ. أو زينَتْ له نفسُه. أو سهَّلتْ له ذلك.

---

(١) قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة.

(٢) قاله الزجَّاج.

قال الأزهري: المعنىٰ: سهَّلتْ له نفسُه قتْلَ أخيه، أي: جعلَتْه سهلًا وهوَّنَتْه. وتقديرُ الكلام: فصوَّرَتْ له نفسُه أنَّ قتلَ أخيه طوعٌ له سهلٌ عليه. ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «خسِرَ دنياه وآخرتَه، أمَّا الدُّنيا فأسخطَ والديه وبقيَ بلا أخٍ، وأمَّا الآخرةَ فأسخطَ ربَّه وصارَ إلىٰ النار»[١].

فانظر - يا رعاك الله - كيف جرَّه الحسدُ إلىٰ قتلِ أخيه، ولو أنَّه راجعَ نفْسَه وأحسَنَ اختيارَ قُربانِه وأصلحَ نيّتَه لكان خيرًا له مِن حسَدِهِ لأخيه علىٰ قبولِ قربانِه.

عباد الله: ومن أضرارِ الحسدِ علىٰ الدينِ أنَّ فيه معاداةً لنعمِ الله سبحانه، قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لَا تُعَادُوا نِعَمَ اللهِ». قِيلَ لَهُ: وَمَنْ يُعَادِي نِعَمَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ»[٢].

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي (٢/ ١٧٦).

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥١).

وفي بعضِ الكتبِ يقولُ اللهُ تعالىٰ: « الحسودُ عدوٌّ نعمتي، متسخّطٌ لقضائي، غيرُ راضٍ بقسمتي »[(١)].

والحسدُ سببٌ لهلاكِ أصحابِهِ، لا سيّما إذا بغَوا وتجاوزَ حسَدُهمْ قلوبَهمْ، ولذلك ورد عن سَهْل بْنِ أَبِي أُمَامَةَ: «أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ - فدار الحديث بينهم - إلىٰ أنْ قال: ثُمَّ غَدَا مِنَ الْغَدِ فَقَالَ: أَلَا تَرْكَبُ لِتَنْظُرَ وَلِتَعْتَبِرَ. قَالَ: نَعَمْ. فَرَكِبُوا جَمِيعًا فَإِذَا هُمْ بِدِيَارٍ بَادَ أَهْلُهَا وَانْقَضَوْا وَفَنُوا، خَاوِيَةٍ عَلَىٰ عُرُوشِهَا، فَقَالَ: أَتَعْرِفُ هَذِهِ الدِّيَارَ؟ فَقَالَ: مَا أَعْرَفَنِي بِهَا وَبِأَهْلِهَا. قال: هَذِهِ دِيَارُ قَوْمٍ أَهْلَكَهُمُ الْبَغْيُ وَالْحَسَدُ، إِنَّ الْحَسَدَ يُطْفِئُ نُورَ الْحَسَنَاتِ، وَالْبَغْيُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ، وَالْعَيْنُ تَزْنِي، وَالْكَفُّ وَالْقَدَمُ وَالْجَسَدُ وَاللِّسَانُ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»[(٢)].

---

(١) العقد الفريد (٢/ ١٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠٤) وأبو يعلىٰ (٦/ ٣٦٥/ ٣٦٩٤)، والخطابي في غريب الحديث (٢/ ٥٠٩)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٥٥)، والضياء في المختارة (٦/ ١٧٣/ ٢١٧٨). =

وأضرارُ الحسدِ علىٰ دِينِ المسلمِ كثيرةٌ، وما ذكرناه فيه ذكرىٰ لمن أراد الله له خيرًا ووفَّقه للسعيِ في مجاهدةِ نفسه علىٰ تركِ هذه الخَصلةِ الذميمةِ، أعاذني الله وإياكم منها.

وأمَّا أضرارُ الحسدِ على العقلِ والجسدِ: فإنه جالبٌ للهمِّ، ومدعاةٌ إلىٰ التسخط، ومَجلبةٌ للانشغالِ بأمورِ الآخرين، مُفسدٌ للمزاج:

رُوِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّهُ يَتَبَيَّنُ فِيكَ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ فِي عَدُوِّكَ. لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ أَضَرُّ مِنَ الْحَسَدِ، لِأَنَّهُ يَصِلُ إِلَىٰ الْحَاسِدِ خَمْسَ عُقُوبَاتٍ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَحْسُودِ مَكْرُوهٌ:

أَوَّلُهَا: غَمٌّ لَا يَنْقَطِعُ.

وَالثَّانِي: مُصِيبَةٌ لَا يُؤْجَرُ عَلَيْهَا.

وَالثَّالِثُ: مَذَمَّةٌ لَا يُحْمَدُ بِهَا.

وَالرَّابِعُ: يَسْخَطُ عَلَيْهِ الرَّبُّ.

= وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٧/ ٤٦٨): وهذا إسناد يحتمل التحسين.

وَالْخَامِسُ: تُغْلَقُ عَلَيْهِ أَبْوَابُ التَّوْفِيقِ»[١].

وكان يقال: « ستّةٌ لا يَخْلون من الكآبة: رجلٌ افتقرَ بعد غِنىٰ، وغنيٌّ يخافُ علىٰ مالِه، وحقودٌ، وحسودٌ، وطالبٌ مرتبةً لا يبلغها قدرُه، ومخالط الأدباء بغير أدب »[٢].

ومَن ترك الحسدَ استراح بدَنُه وطابَ عيشُه، ولذلك قالوا: الفضلُ لمن نبَذ الحسدَ، وأراحَ الجَسدَ، ولزِمَ الجَدَدَ، وقال الأصمعي: « رأيتُ أعرابيًا أتىٰ عليه عُمرٌ كثير، فقلت: أراك حسَنَ الحالِ في جسدِك. قال: نعم تركتُ الحسد فبقيَتْ نَفْسِي »[٣].

ومما يدلُّ علىٰ أنَّ حسد الحاسد يجعله في شقاءٍ؛ أنَّ أهلَ الجَنةِ لا يتحاسدون، فمن تمام نعيمِ الجنةِ أنْ لا حسَد فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٤]. قال الْقُتَبِيّ: « الغِلّ: الحسدُ والعَداوة »[٥].

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص/ ١٧٧).

(٢) عيون الأخبار (٢/ ١٦).

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - للراغب الأصفهاني (١/ ٣١٧).

(٤) [الحجر: ٤٧]

(٥) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٤/ ٤٢٤).

ومن أضرارِ الحسَدِ أنَّ الحاسدَ قد يُصيبُ المحسودَ بعينه إصابةً تُمرِضُه وربما تَقتُله؛ كما ورد في الأخبار، وصحَّتْ بذلك الآثار.

وفي نوابغِ الحكم: « الحسدُ حسَك من تعلَّق به هلَك. وكان يُقالُ: لا يوجدُ الحرُّ حريصًا، ولا الكريمُ حسودًا »[١].

وقال أعرابيّ: « الحسدُ داءٌ منصفٌ يفعلُ في الحاسدِ أكثرَ من فعلِه في المحسود، وهو مأخوذٌ من الخبر: قاتَلَ اللهُ الحسدَ فما أعدَلَه، بدأ بصاحبِه فقتَله. وقيل: الحسودُ غضبانٌ علىٰ القدَر، والقدَرُ لا يعتِبُه »[٢].

وأضرارُ الحسدِ كثيرةٌ، وآفاتُه خطيرةٌ، وشرورهُ في الناس مُستطيرة، ومنها: ما يلحقُ الحاسدَ من الذمِّ والقدْحِ، وما يفوتُه من الثناءِ والمدح.

---

(١) العقد الفريد (٢/ ١٧١).

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٨١).

والحاسدُ ظَالِمٌ غشومٌ لا يُبقي ولا يَذَرُ، قَالَ عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز: مَا رأيتُ ظالِمًا أشبهَ بمظلومٍ من الحاسدِ، غَمٌّ دائمٌ ونفسٌ مُتتابعٌ، وَقَالَ ابْن المعتز:

قُلْ للحسودِ إِذَا تنفَّسَ طعنةً يا ظالِمًا وكأنه مظلومُ

فالْحَسُودُ مِنْ الْهَمِّ كَسَاقِي السُّمِّ، فَإِنْ سَرَى سُمُّهُ زَالَ عَنْهُ غَمُّهُ[1].

وقيل: من علاماتِ الحاسدِ أَنْ يتملَّقَ إِذَا شهدَ، ويغتابَ إِذَا غابَ، ويَشْمَتَ بالمصيبةِ إِذَا نزلت، وقيل: الحاسدُ مغتاظٌ عَلَىٰ من لا ذَنْبَ لَهُ، بخيلٌ بِمَا لا يملِكُه[2].

وإن شرَّ الحاسدِ وكيدَه يعودُ عليه لا سيّما إنْ صحبَ حسَدَه بغيٌ واعتداءٌ علىٰ المحسود. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اصْبِرْ عَلَىٰ كَيْدِ الْحَسُودِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ[3]

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٧١).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٢٨٩).

(٣) أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٧٠).

عبادَ الله: اعلموا أنَّ مَنْ سعىٰ في الإضرارِ بإخوانِه، وعمِل علىٰ تعطيلِ مصالحهم وإفسادِ أحوالِهم حَسدًا وبغيًا، فإنَّ عقوبتَه مُعجَّلة، فالبغيُ موجبٌ للعقوبةِ العاجلةِ في الدنيا، وما ينتظرُ الباغيَ من العقوبةِ في الآخرةِ أكثرُ وأشدّ، وقد صحَّتْ بهذا النصوصُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كقوله: «**بَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا الْبَغْيُ وَالْعُقُوقُ**»(١).

وقَالَ مُعَاوِيَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ليست فِي خِلالِ الشر خَلّةٌ أعدلُ من الحسد؛ تقتلُ الحاسدَ قبل المحسود»(٢).

ومِنْ أعجبِ ما وقع من تعجيلِ العقوبةِ للحاسدِ وهلاكِه بسببِ حسَدِهِ ومكرِه؛ هذه القصةُ التي ذكرها صاحب كتاب المستطرف، وهي:

حُكيَ: أنَّ رجلًا من العربِ دخلَ علىٰ المعتصمِ فقرّبَه وأدناه وجعلَه نديمَه، وصار يدخلُ عليه من غيرِ استئذان. وكان له وزيرٌ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨١٠) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٢٨٩).

حاسدٌ فغارَ من البدوي وحسِدَه، وقال في نفسِه: إنْ لمْ أحتلْ علىٰ هذا البَدَوي في قتلِه أخَذ بقلبِ أميرِ المؤمنين، وأبعدني منه، فصارَ يتلطفُ بالبدوي حتىٰ أتىٰ به إلىٰ منزلِه، فطبخَ له طعامًا، وأكثر فيه من الثُّوم، فلما أكل البدويُّ منه قال له الوزيرُ الحاسدُ:

احذرْ أنْ تقتربَ من أميرِ المؤمنين، فيشمّ منك رائحةَ الثُّوم، فيتأذّىٰ من ذلك فإنه يكره رائحتَه، ثم ذهبَ الوزيرُ إلىٰ أميرِ المؤمنين، فخلا به وقال: يا أميرَ المؤمنين إنَّ البدويَّ يقولُ عنك للناس: إنَّ أميرَ المؤمنين أبخَرُ، وهلكتُ من رائحةِ فمِه. فلما دخل البدويُّ علىٰ أميرِ المؤمنين جعلَ كُمَّه علىٰ فمِه مخافةَ أنْ يشُمَّ منه رائحةَ الثُّوم، فلمَّا رآه أميرُ المؤمنين وهو يسترُ فمَه بكُمِّه قال: إنَّ الذي قاله الوزيرُ عن هذا البدويِّ صحيحٌ، فكتبَ أميرُ المؤمنين كتابًا إلىٰ بعضِ عُمَّالِه يقولُ فيه: إذا وصل إليك كتابي هذا، فاضربْ رقبةَ حاملِه، ثم دعا البدويَّ ودفعَ إليه الكتابَ، وقال له: امضِ به إلىٰ فلانٍ وائتني بالجواب.

فامتثل البدَويُّ ما رسمَ به أميرُ المؤمنين وأخذ الكتابَ وخرجَ به من عندِه، فبينما هو بالبابِ إذ لقيَه الوزيرُ، فقال: أين تُريدُ؟

قال: أتوجَّهُ بكتابِ أميرِ المؤمنين إلىٰ عاملِه فلان، فقال الوزيرُ في نفسِه: إنَّ هذا البدَويَّ يَحصلُ له من هذا التقليدِ مالٌ جَزيلٌ، فقال له: يا بَدَويُّ ما تقولُ فيمن يُريحُك من هذا التعبِ الذي يَلحقُكَ في سفرِك، ويُعطيك ألفي دينار؟ فقال: أنت الكبيرُ، وأنت الحاكمُ، ومهما رأيتَه من الرأيِ افعلْ. قال: أَعطني الكتابَ، فدفعَه إليه، فأعطاه الوزيرُ ألفي دينار، وسار بالكتابِ إلىٰ المكانِ الذي هو قاصِدُه، فلما قرأ العاملُ الكتابَ أمرَ بضربِ رقبةِ الوزيرِ. فبعد أيامٍ تذكَّر الخليفةُ أمرَ البدَويِّ، وسألَ عن الوزيرِ، فأُخبرَ بأنَّ له أيامًا ما ظهر، وأنَّ البدويَّ بالمدينةِ مقيمٌ، فتعجَّب من ذلك وأمَر بإحضارِ البدويِّ، فحضرَ، فسأله عن حالِه، فأخبرَه بالقِصّةِ التي اتَّفقتْ له مع الوزيرِ من أولِها إلىٰ آخرِها، فقال له: أنت قلتَ عني للناسِ أني أبْخَرُ؟ فقال: معاذَ الله يا أميرَ المؤمنين أنْ أتحدَّث بما ليس لي به علم، وإنما كان ذلك مَكرًا منه وحَسَدًا، وأَعلَمه كيف دخلَ به إلىٰ بيتِه وأطعمَه الثُّومَ وما جرىٰ له معه.

فقال أميرُ المؤمنين: قاتلَ اللهُ الحسدَ ما أعدَله بدأ بصاحبِه فقتلَه، ثم خلَعَ علىٰ البَدَويِّ واتَّخذَه وزيرًا، وراحَ الوزيرُ بحَسَدِه[1].

فما أكثرَ أضرارَ الحسد، علىٰ الدينِ والعقلِ والجسد.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين والمسلماتِ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) المستطرف في كل فن مستطرف (ص/ ٢٢١).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله علىٰ إحسانِه، والشكرُ له علىٰ توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبينَا محمدًا عبدُه ورسولُه الداعي إلىٰ رضوانه، صلىٰ الله وسلمَ عليه وعلىٰ آله وأصحابه وإخوانه.

أيها المسلمون: وللحسد أضرارٌ كثيرةٌ علىٰ العقلِ والنفسِ، وقد ذكر بعضَها الرازيُّ فقال عن الحسد: « وهو مُضر بالنفْسِ والجسَد. أمّا بالنفسِ فلأنه يُذهلُها ويُعزبُ فِكرها ويَشغلُها حتىٰ لا تفرُغَ للتصرُّفِ فيما يعودُ نفعُه علىٰ الجسد وعليها لِما يعرِضُ معه للنفسِ من العوارضِ الردّيئة؛ مثلِ طولِ الحُزنِ والهّمِ والفِكْر. وأمّا بالجسد؛ فلأنه يعرِضُ له عند حدوثِ هذه الأعراضِ للنفسِ طولُ السّهَرِ وسوءُ الاغتذاء، ويُعقِبُ ذلك رداءةَ اللون وسوءَ السِّحنَة وفسادَ المزاج. وإذا كان العاقلُ يزُمّ بعقلِه الهوىٰ فأولىٰ به وأولىٰ أن يجتهدَ في محوِ هذا العارضِ عن نفسِه ونسيانِه.

والإضرابُ عنه وتركُ الفِكْرِ فيه متىٰ خطر بباله. وأيضـًا فإنَّ الحسد نِعْمَ العونُ والمنتقِمُ من الحاسدِ للمحسود، وذلك أنه يُديمُ همَّه وغمَّه ويذْهِل عقلَه ويُعذِّب جسدَه ويوُهِنُ بإشغالِ نفسِه وإضعافِ جسدِه كيدَه للمحسود وسعيه عليه إن دام ذلك. فأيُّ رأيٍ هو أولىٰ بالتسفيهِ والترذيلِ من الذي لا يجلبُ علىٰ صاحبِه إلا ضرراً، وأيُّ سِلاحٍ أحقُّ وأَولىٰ بالاطّراحِ من الذي هو جُنّةٌ للعدوّ وجارحٌ للحامل؟ »[١].

ومن أضرارِ الحسدِ علىٰ صاحبِهِ أنّه رفعةٌ للمحسود ومذمّةٌ علىٰ الحاسد، **ولولا حسدُ الحاسدِ ما التُفتَ إلىٰ المحسود. وليعلمِ المُبتلىٰ بحسدِ غيرِه له أنَّ حسدَهم له يدلُّ علىٰ فضيلةٍ نالها وفُضِّل بها علىٰ غيره**، ولذلك قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ بِحَسَبِ فَضْلِ الْإِنْسَانِ وَظُهُورِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ يَكُونُ حَسَدُ النَّاسِ لَهُ. فَإِنْ كَثُرَ فَضْلُهُ كَثُرَ حُسَّادُهُ، وَإِنْ قَلَّ قَلُّوا؛ لِأَنَّ ظُهُورَ الْفَضْلِ يُثِيرُ الْحَسَدَ، وَحُدُوثَ النِّعْمَةِ يُضَاعِفُ الْكَمَدَ. وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ

---

(١) رسائل فلسفية للرازي (ص/ ٥١).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَعِينُوا عَلَىٰ قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِسَتْرِهَا فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ»(١).

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَا كَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا وَجَدَ لَهَا حَاسِدًا، فَلَوْ كَانَ الرَّجُلُ أَقْوَمَ مِنْ الْقَدْحِ لَمَا عَدِمَ غَامِزًا»، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

إنْ يَحْسُدُونِي فَإنِّي غَيْرُ لائِمِهِمْ ... قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمُ ... وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ(٢)

وَرُبَّمَا كَانَ الْحَسَدُ مُنَبِّهًا عَلَىٰ فَضْلِ الْمَحْسُودِ وَنَقْصِ الْحَسُودِ، كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ
لَوْلا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ يَزَلْ ... لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ(٣)

وقيل لسفيان بن معاوية: ما أسرعَ حسدَ الناسِ إلىٰ قومِك! فقال:

إنَّ العَرانينَ تلقاها مُحسَّدةً ... ولا ترى للئامِ الناسِ حُسّادًا

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٣).
(٢) الرسائل للجاحظ (١/ ٣٧١).
(٣) أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٧١).

وقال آخر:

وترى اللبيبَ مُحَسَّدًا لم يجترمْ ... شتمَ الرجالِ وعرضُه مشتومُ
حسِدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيَه ... فالقومُ أعداءٌ له وخصومُ
كضرائرِ الحسناءِ قلن لوجهِها ... حسَدًا وظُلمًا إنه لذميمُ (١)

وعن معمر بنِ المُثنّى قال: مرّ قيسُ بنُ زهيرٍ ببلادِ غَطَفان، فرأى ثروةً وعددًا، فكرِهَ ذلك، فقيل له: أيسوءُك ما يَسُرُّ الناسَ؟ قال: « إنك لا تدري أنَّ مع النعمةِ والثروةِ التحاسُدَ والتخاذلَ، وأنَّ مع القِلةِ التحاشدَ والتناصُرَ. قال: وكان يقال: ما أثرى قومٌ قطُّ إلا تحاسدوا وتجادلوا »(٢).

وقالوا: « لا يخلو السيدُ من ودودٍ يمدحُ وحسودٍ يقدحُ »(٣).

ولئلا يلتبسَ على بعضِ الناسِ الحسدُ المذمومُ بالغبطةِ المأذونِ فيها فسأذكرُ ما قيل في التفريق بينهما؛ قال العلماءُ: الحسدُ قسمان: حقيقيٌّ ومجازي، فالحقيقيُّ: تمنّي زوالَ النعمةِ

---

(١) من عند أثر سفيان بن معاوية وما بعده – عيون الأخبار (٢/ ١٣).

(٢) العقد الفريد (٢/ ١٧١).

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري (٣/ ٣٧٦).

عن صاحبِها، وهذا حرامٌ بإجماعِ الأُمَّة مع النصوصِ الصحيحةِ - وهو الذي تكلمنا عنه وجاءت الأدلة في ذمِّه -.

وأما المجازي: فهو الغِبطةُ، وهو أن يتمنَّىٰ مثلَ النعمةِ التي علىٰ غيرِه من غيرِ زوالِها عن صاحبِها، فإن كانت من أمورِ الدنيا كانت مُباحةً وإن كانت طاعةً فهي مستحبةٌ[(١)].

فالحسدُ اسمٌ لما فضُل عن المنافسَةِ، كما أنَّ الجبنَ اسمٌ لما فضُل عن التوقِّي، والبخلَ اسمٌ لما قصُرَ عن الاقتصاد، والسّرفَ ما جاوز الجودَ[(٢)].

عباد الله: لو كان الحسدُ مُباحًا لَتَـرَكه العاقلُ حذرًا من أضرارِه وأخطارِه، وحفاظًا علىٰ مروءته ومكانتِه، وحرصًا علىٰ سلامةِ دينِه وعقلِه وبدنِه، فكيف وهو مع أضرارِه الكثيرةِ حرامٌ حرَّمه اللهُ تعالىٰ، ونهىٰ عنه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. **فاجتنبوه يا عبادَ الله**، ولنجاهدْ أنفُسَنا علىٰ تصفيةِ قلوبِنا من أمراضِها وآفاتِها، ولنحرصْ

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (٦/ ٩٧).

(٢) الرسائل الأدبية للجاحظ (ص/ ٤٣٥).

علىٰ نقائها وسلامتِها، فإنَّ أمراضَ القلوبِ كثيرةٌ، وآفاتِها علىٰ المسلمِ خطيرةٌ، والموفَّقُ من جاهدَ نفسَه علىٰ تزكيتِها، وبذلَ جُهدَه في تنقيتِها، وسعىٰ في إصلاحِها وتربيتِها.

هذا وصلُّوا وسلِّموا علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيم، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيم فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذِلَّ الكفرَ والكافرين، واجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين.

اللهم احفظنا وذريَّاتنا من مُضِلَّات الفتن، اللهم احفظِ المسلمين وذريَّاتهم من مُضِلَّاتِ الفتنِ يا ربَّ العالمين.

اللهم ألهِمنا رُشدَنا وقِنا شرورَ أنفسِنا، اللهم أعِذنا من شرورِ أنفسنا، وأعِذنا من شر كل ذي شرٍّ يا رب العالمين، اللهم اكفِنا شر المُعتدين يا رب العالمين، إنك علىٰ كل شيء قدير.

ربنا اغفر لنا ذنوبَنا، اغفرْ لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسرَرْنا وما أعلنَّا، وما أنت أعلمُ به منَّا، أنت المُقدِّم وأنت المُؤخِّر، لا إله إلا أنت.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلِح ولاةَ أمورِنا، اللهم ألِّفْ بين قلوبِ المسلمين، اللهم اغفرْ لأمواتِنا وأمواتِ المسلمين يا رب العالمين برحمتك يا أرحم الراحمين. ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾(١).



(١) [الصافات: ١٨٠-١٨٢].



٨ - خطبة جمعة بعنوان/

[دوافعُ الحسدِ وأسبابُ علاجِه]

الحمدُ للهِ الذي يَقسِمُ الأرزاقَ بعدلِه وحِكمتِه، ويَهبُ الصلاحَ والأخلاقَ بفضلِه ورحمتِه، أحمدُه علىٰ ما أسبَغَ من العَطاء، كما أحمدُه علىٰ ما أسبلَ من الغِطاء.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، أولٌ بلا ابتداء، آخرٌ بلا انتهاء، لا يفنىٰ ولا يَبيد، ولا يكونُ إلا ما يُريد، لا تبلغُه الأوهام، ولا تُدرِكُه الأفهام، ولا يُشبهُ الأنام، حيٌ لا يموت، قيُّومٌ لا ينام.

يَهدي من يشاءُ ويَعصِمُ ويُعافي فضلًا، ويُضلُّ من يشاءُ ويخذلُ ويبتلي عدلًا:

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... كَلا وَلا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أَوْ نُعِّمُوا ... فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ

وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، خاتمُ الأنبياء، وإمامُ الأتقياء، وسيدُ المرسلين، وخليلُ ربِّ العالمين، فصلواتُ الله وسلامُه

عليه، وعلىٰ آلِهِ الكُرماء وأصحابِهِ الرُحمَاء، ما همَرَ رُكام، وهَدَرَ حمَام، وسَرَحَ سوام، وسَطَا حُسام.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله في السر والعلن، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَىٰ، ولَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللهَ شَيْئًا.

أيُّها المسلمون: إنَّ الحسدَ عملٌ قلبيٌّ يقع فيه كثيرٌ من الناسِ من حيثُ يشعرون أو لا يشعرون، وحتىٰ يستطيعَ المسلمُ أن يُدافعَ هذا الداء، ويجتنبَ هذا البلاء، فسأذكرُ لكم بعضَ دواعي الحسدِ والدوافعِ إليه، وذلك لأجلِ اجتنابِها وليس لاجتلابها كما قال الشاعر:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكنْ لتوقِّيهِ ... ومَن لا يعرِفِ الشرَّ مِن الخيرِ يَقَعْ فيهِ

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

ثم بعضَ الوسائلِ والأسبابِ التي يُمْكنُ للمسلمِ أنْ يدفعَ الحسدَ بتلك الأسباب.

فأما دواعي الحسد فكثيرة ومنها:

ما ذكره الماورديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: وَاعْلَمْ أَنَّ دَوَاعِيَ الْحَسَدِ ثَلَاثَةٌ:

« أَحَدُهَا: بُغْضُ الْمَحْسُودِ فَيَأْسَىٰ عَلَيْهِ بِفَضِيلَةٍ تَظْهَرُ، أَوْ مَنْقَبَةٍ تُشْكَرُ، فَيُثِيرُ حَسَدًا قَدْ خَامَرَ بُغْضًا. وَهَذَا النَّوْعُ لَا يَكُونُ عَامًّا وَإِنْ كَانَ أَضَرَّهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ يُبْغِضُ كُلَّ النَّاسِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَظْهَرَ مِنْ الْمَحْسُودِ فَضْلٌ يَعْجِزُ عَنْهُ فَيَكْرَهُ تَقَدُّمَهُ فِيهِ وَاخْتِصَاصَهُ بِهِ، فَيُثِيرُ ذَلِكَ حَسَدًا لَوْلَاهُ لَكَفَّ عَنْهُ. وَهَذَا أَوْسَطُهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْسُدُ الْأَكْفَاءُ مَنْ دَنَا، وَإِنَّمَا يَخْتَصُّ بِحَسَدِ مِنْ عَلَا. وَقَدْ يَمْتَزِجُ بِهَذَا النَّوْعِ ضَرْبٌ مِنْ الْمُنَافَسَةِ وَلَكِنَّهَا مَعَ عَجْزٍ فَلِذَلِكَ صَارَتْ حَسَدًا.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ فِي الْحَاسِدِ شُحٌّ بِالْفَضَائِلِ، وَبُخْلٌ بِالنِّعَمِ، وَلَيْسَتْ إلَيْهِ فَيَمْنَعُ مِنْهَا، وَلَا بِيَدِهِ فَيَدْفَعُ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا مَوَاهِبُ قَدْ مَنَحَهَا اللهُ مَنْ شَاءَ فَيَسْخَطُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي قَضَائِهِ، وَيَحْسُدُ

عَلَىٰ مَا مَنَحَ مِنْ عَطَائِهِ، وَإِنْ كَانَتْ نِعَمُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَهُ أَكْثَرَ، وَمِنَحُهُ عَلَيْهِ أَظْهَرَ. وَهَذَا النَّوْعُ مِنْ الْحَسَدِ أَعَمُّهَا وَأَخْبَثُهَا إِذْ لَيْسَ لِصَاحِبِهِ رَاحَةٌ، وَلَا لِرِضَاهُ غَايَةٌ، فَإِنْ اقْتَرَنَ بِشَرٍّ وَقُدْرَةٍ كَانَ بُورًا وَانْتِقَامًا، وَإِنْ صَادَفَ عَجْزًا وَمَهَانَةً كَانَ كَمَدًا وَسَقَامًا »[١].

ومن دواعي الحسدِ وأسبابِه:

البخلُ والشَّرَه في نفسِ الحاسدِ، قال الرازي: « إنَّ الحسدَ أحدُ العوارضِ الرديّةِ، **ويتولدُ من اجتماعِ البخلِ والشَّرَهِ في النفس،** والحسدُ شرٌّ من البخل؛ لأنَّ البخيلَ إنما لا يحبُّ أن يُنيلَ أحداً شيئًا مما يملكُه ويحويه، والحسودُ يُحبُّ أنْ لا ينالَ أحدٌ خيراً البتَّةَ ولو مما لا يملكُه، وهو داءٌ من أدواءِ النفسِ عظيمُ الأذىٰ لها »[٢].

ومن دواعي الحسدِ:

مخالطةُ الأكفاءِ لِمَن دونَهم من اللئام، فمخالطتُهم مع عجزِهم عن بلوغِ مرتبتِه والوصولِ إلىٰ منزلتِه تُورِثُ في قلوبِهمُ الحسدَ

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٧٠).

(٢) رسائل فلسفية للرازي (ص/ ٤٨).



عليه وتمنّي زوال النعمةِ عنه، ولو أنهم سعَوا في الوصولِ إلىٰ مرتبتِه لكان خيرًا من التمني أن تزولَ نعمتُه أو تنزلَ رُتبتُه.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَمِّ الْحَسَدِ إِلَّا أَنَّهُ خُلُقٌ دَنِيءٌ يَتَوَجَّهُ نَحْوَ الْأَكْفَاءِ وَالْأَقَارِبِ، وَيَخْتَصُّ بِالْمُخَالِطِ وَالْمُصَاحِبِ، لَكَانَتْ النَّزَاهَةُ عَنْهُ كَرَمًا، وَالسَّلَامَةُ مِنْهُ مَغْنَمًا. فَكَيْفَ وَهُوَ بِالنَّفْسِ مُضِرٌّ، وَعَلَىٰ الْهَمِّ مُصِرٌّ، حَتَّىٰ رُبَّمَا أَفْضَىٰ بِصَاحِبِهِ إِلَىٰ التَّلَفِ مِنْ غَيْرِ نِكَايَةٍ فِي عَدُوٍّ وَلَا إِضْرَارٍ بِمَحْسُودٍ »[(١)].

وقد يقعُ الحسدُ بين الأقرانِ والأقاربِ أكثر من غيرِهم! وقد قيلَ لعطاءِ بنِ مُصعب: كيف غلبتَ علىٰ البرامكةِ وكان عندهم مَنْ هو آدبُ منك؟ قال: « كنتُ بعيدَ الدارِ منهم، غريبَ الاسمِ، فقرّبني إليهم تباعُدي منهم، ورغَّبَهم فيَّ رغبتي عنهم، وليس للقرباء ظرافةُ الغرباء »[(٢)].

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٦٩).

(٢) العقد الفريد (٢/ ١٧٧).

وقال رجل لخالد بنِ صفوان: إني أُحبُّك. قال: « وما يمنعُك من ذلك ولستُ لك بجارٍ ولا أخٍ ولا ابنِ عم؟ يريدُ أنَّ الحسَدَ مُوكَّلٌ بالأدنىٰ فالأدنىٰ »[١].

وقال أَبُو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وأكثرُ مَا يوجَدُ الحسدُ بين الأقرانِ أو من تَقارُبِ الشكلِ لأن الكَتَبة لا يحسِدُها إلا الكَتبَة، كما أنَّ الحَجبَةَ لا يحسِدُها إلا الحَجَبَةُ، ولن يبلغَ المرءُ مرتبةً من مراتبِ هذه الدنيا إلا وجد فيها من يُبغِضُه عليها أو يحسِدُه فيها، والحاسدُ خصمٌ معاندٌ لا يجبُ للعاقلِ أن يجعلَه حكمًا عند نائبةٍ تحدُث فإنه إنْ حكمَ لمْ يحكمْ إلا عَلَيْهِ، وإن قصَدَ لم يقصِدْ إلا له، وإن حَرَم لم يَحرم إلا حظَّه، وإن أعطىٰ أعطىٰ غيرَه، وإنْ قعدَ لم يقعُدْ إلا عنه، وإن نهضَ لم ينهضْ إلا إليه، وليس للمحسودِ عنده ذنبٌ إلا النعم التي عنده، فليحذرِ المرءُ مَا وصفتُ من أشكالِه وأقرانِه وجيرانِه وبنىٰ أعمامِه »[٢].

---

(١) العقد الفريد (٢/ ١٧٧).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص/ ١٣٦).

عباد الله: تلك بعضُ دواعي الحسدِ وأسبابِه، فمن استطاعَ اجتنابَها فهو خيرٌ له ولِمَن حولَه، من المسلمين.

وأما علاجُ الحسدِ: فيكونُ بمدافعتِه وتركِ التجاوبِ مع خَطَراتِ النفسِ الناتجةِ عن الحسَدِ، ويُروىٰ في الأثر: «إِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ». يَعْنِي إِذَا كَانَ الْحَسَدُ فِي قَلْبِكَ فَلَا تُظْهِرْهُ وَلَا تَذْكُرْ عَنْهُ بِسُوءٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يُؤَاخِذُكَ بِمَا فِي قَلْبِكَ مَا لَمْ تَقُلْ بِاللِّسَانِ أَوْ تَعْمَلْ عَمَلًا فِي ذَلِكَ[١]. مَا لَمْ تَقُلْ بِاللِّسَانِ أَوْ تَعْمَلْ عَمَلًا فِي ذَلِكَ تضرُّ به غيرَك من الناس.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الْحَسَدُ مَرَضٌ مِن أَمْرَاضِ النَّفْسِ، وَهُوَ مَرَضٌ غَالِبٌ فَلَا يَخْلُصُ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِن النَّاسِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَا خَلَا جَسَدٌ مِن حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ. فَمَن وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِغَيْرِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَهُ التَّقْوَىٰ وَالصَّبْرَ. فَيَكْرَهُ ذَلِكَ مِن نَفْسِهِ »[٢].

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص/ ١٧٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٢٤).

أيها المسلمون: ومما يدفع الإنسانُ به الحسد أنْ يتذكرَ دائمًا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قسَّم الأرزاق بين عبادِه بحكمتِه سبحانه، وفضَّل بعض الناسِ علىٰ بعضٍ في جوانبَ كثيرةٍ، ففضَّلَ بعضَ الناسِ في الخَلْق، وفضَّلَ بعضَ الناسِ في العقلِ، وفضَّلَ بعضَ الناسِ في الرزق، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾[١]، وفضَّلَ بعضَ الناسِ علىٰ بعضٍ في الأولادِ والذُّريّة، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[٢].

وفضَّلَ بعضَ الناسِ علىٰ بعضٍ في العِلْمِ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[٣].

وأمورٌ كثيرةٌ يطولُ ذكرُها.

---

(١) [الرعد: ٢٦].

(٢) [الشورىٰ: ٤٩-٥٠].

(٣) [يوسف: ٧٦].

فمما يُعين على تركِ الحسدِ؛ أنْ يتذكَّرَ الإنسانُ أنَّ كلَّ شيءٍ مكتوبٌ وكلَّ رزقٍ مقسومٌ، ولا يَنقُص عطاءُ الله لشخصٍ علىٰ نصيبِ آخر، وأنَّ الله يُعطي بفضلٍ ورحمةٍ، ويمنعُ بعدلٍ وحِكْمة.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَطَرِيقُهُ فِي نَفْيِ الْحَسَدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ حِكْمَةَ اللهِ تَعَالَىٰ اقْتَضَتْ جَعْلَ هَذَا الْفَضْلِ فِي هَذَا الْإِنْسَانِ فَلَا يَعْتَرِضُ وَلَا يَكْرَهُ مَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ »[١].

وقال حاتمٌ الأصم: « نظرتُ إلىٰ هذا الخَلْقِ وهم يطعنُ بعضُهم في بعضٍ ويلعنُ بعضُهم بعضًا وأصلُ هذا كلُّه الحسَد، ثم نظرتُ إلىٰ قولِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾[٢]، فتركتُ الحسدَ واجتنبتُ الخَلْقَ، وعلمتُ أنَّ القسمةَ من عندِ اللهِ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فتركتُ عداوةَ الخلقِ عني »[٣].

ومما يعينُ علىٰ تركِ الحسد؛ أنْ يسعىٰ الشخصُ للوصولِ إلىٰ ما وصَل إليه غيرُه ممن فُضِّلوا عليه آخذًا بالأسبابِ المشروعَةِ

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص/ ٥٢).

(٢) [الزخرف: ٣٢].

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ٦٥).

والوسائلِ المتاحة، فإنَّ السعيَ والمنافسةَ والتجلُّدَ خيرٌ من الحسَدِ والكسلِ والتَّبلُّدِ.

والمثلُ السائرُ بين الناسِ (نافسْ ولا تحسد) صحيحٌ يدل علىٰ هذا المعنىٰ، فمن رأىٰ لأحدٍ فضلًا عليه فليسألِ اللهَ من فضلِه وليسلُك أسبابَ الفلاحِ والنجاحِ ولينافسْ علىٰ الفضائلِ فذلك خيرٌ له من الحسَد، وأفضلُ من تمني زوالِ النعمةِ عن أصحابِها فإنَّ الحسدَ من الخصالِ الذميمةِ الرديئةِ التي تضرُّ بدينِ الشخصِ ومروءتِه وعقلِه وجسدِه.

ويدلُّ علىٰ أهميةِ فَهمِ هذا المعنىٰ والعملِ به؛ فعلُ ابنِ آدمَ الذي قتلَ أخاه، فلو أنه تدارك خطأه وتابَ من ذنْبِه وأحسنَ في اختيارِ قُربانِه وأصلحَ نيّتَه لكان خيرًا له.

قَالَ الشَّاعِرُ:

نَافِسْ عَلَى الْخَيْرَاتِ أَهْلَ الْعُلا ... فَإِنَّمَا الدُّنْيَا أَحَادِيثُ

كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ كَادِحٌ ... فَوَارِثٌ مِنْهُمْ وَمَوْرُوثُ [١]

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٧٠).



ومما يعينُ علىٰ تركِ الحسدِ أنْ يتذكَّرَ المسلمُ الأضرارَ والآفاتِ التي يجلبُها علىٰ نفسِه، والمصائبَ التي يعيشُها في يومه كما عاشها في أمسِه، والأحقادَ التي يحملُها علىٰ بني جنسِه.

قال بعضُ الحُكماء: « ما أمحقَ للإيمانِ ولا أهتكَ للستر من الحسدِ، وذلك أنّ الحاسدَ معاندٌ لحُكمِ الله، باغٍ علىٰ عبادِه، عاتٍ علىٰ ربِّه، يعتدُّ نعمَ الله نقمًا، ومزيدَه غِيَـرًا، وعدلَ قضائه حَيفًا، للناس حالٌ وله حال، ليس يهدأُ ليلُه، ولا ينامُ جشَعُه، ولا ينفعُه عيشُه، محتقرٌ لنعمِ اللهِ عليه، متسخّطٌ ما جرتْ به أقدارُه، لا يبردُ غليلُه، ولا تؤمنُ غوائلُه، إن سالمتَه وتَرَكَ[1]، وإنْ واصلتَه قطعَك، وإنْ صرمتَه سبَقَك »[2].

وقال سليمانُ التّيمي: « الحسدُ يُضعفُ اليقينَ، ويُسهِرُ العينَ، ويُكَثِّرُ الهَمّ »[3].

---

(١) وتَرَ فلَانًا (يَتِرُهُ) وَتْـرًا وتِـرَةً: قتـل حميمَـه وأدركـه بمكـروه وأفزعـه. المعجـم الوسـيط (٢/ ١٠٠٩).

(٢) العقد الفريد (٢/ ١٧٣).

(٣) العقد الفريد (٢/ ١٧١).

وقال أَبُو حاتمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « بئسَ الشعارُ للمرءِ الحسَدُ، لأنه يورثُ الكمَدَ ويُورثُ الحُزنَ، وهو داءٌ لا شفاءَ له. والحاسدُ إذا رأىٰ بأخيهِ نعمةً بُهت، وإن رأىٰ به عثرةً شمتْ، ودليلُ مَا في قلبِه كمينٌ علىٰ وجههِ مُبينٌ، وما رأيتُ حاسدًا سالَمَ أحدًا. والحسدُ داعيةٌ إلىٰ النَّكدِ؛ ألا ترىٰ إبليسَ حسِدَ آدمَ فكان حسَدُه نكَدًا علىٰ نفسِه فصار لعينًا بعدما كان مَكينًا، ويَسهلُ علىٰ المرءِ ترضِّي كلَّ ساخطٍ في الدنيا حتىٰ يرضىٰ إلا الحسودَ فإنه لا يُرضيه إلا زوالُ النعمةِ التي حسِد من أجلِها »[١].

عباد الله: إنّ الحاسدَ يجلبُ لنفسِه من الهمومِ والأحزانِ ما لا يحتاجُ إليها ولا حقَّ له فيها، فينبغي للعاقلِ أن ينأىٰ بنفسِه عن الحسد وآثارِه، ليصونَ دينه وعقله من آفاته وأضرارِه.

قال بعضُ السلفِ: « أقلُّ ما لتاركِ الحسدِ في تركِه أنْ يصرفَ عن نفسِه عذابًا ليس بمُدركٍ به حظًّا ولا غائظٍ به عدوًّا، فإنّا لم نرَ ظالمًا أشبهَ بمظلومٍ من الحاسِد، طولُ أَسَفٍ ومُحالفَةُ كآبةٍ وشِدّةُ

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص/ ١٣٧).

تَحرُّق، ولا يَبرحُ زاريًا علىٰ نعمةِ اللهِ ولا يجدُ لها مزالًا، ويُكدّر علىٰ نفسِه ما به من النعمةِ فلا يجدُ لها طعْمًا، ولا يزالُ ساخِطًا علىٰ من لا يَترضّاه، ومتسخّطًا لما لنْ ينالَ فوقَه، فهو مُنغّصُ المعيشةِ دائمُ السّخطةِ محرومُ الطِّلبةِ، لا بما قُسِمَ له يقنعُ ولا علىٰ ما لمْ يُقْسمْ له يَغْلِب، والمحسودُ يَتقلّبُ في فضلِ اللهِ مباشرًا للسّرورِ منتفعًا به مُمَهّلًا فيه إلىٰ مُدَّةٍ ولا يَقدرُ الناسُ لها علىٰ قطعٍ وانتِقاص »[١].

وقال يحيىٰ بنُ خالد: « الحاسدُ عدوٌّ مَهينٌ لا يُدرِك وتَرَه إلا بالتمنّي. وقال الأحنف: لا صديقَ لملولٍ ولا وفاءَ لكذوبٍ، ولا راحةَ لحسودٍ ولا مُروءةَ لبخيلٍ ولا سُؤددَ لسيّءِ الخُلُقِ »[٢].

ومما يُعينُ علىٰ تركِ الحسدِ أنْ يتذكّرَ الحاسدُ أنه واقعٌ في معصيةِ الله ومعصيةِ رسولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيتركُ الحسدَ امتثالًا لأمرِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهىٰ عن الحسدِ

---

(١) عيون الأخبار (٢/ ١٢).

(٢) الأثران في عيون الأخبار (٢/ ١٣).

وحذَّر منه، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»(١).

قال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « قَوْلُهُ «**وَلَا تَحَاسَدُوا**» الْحَسَدُ: تَمَنِّي الشَّخْصِ زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْ مُسْتَحِقٍّ لَهَا أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَسْعَىٰ فِي ذَلِكَ أَوْ لَا، فَإِنْ سَعَىٰ كَانَ بَاغِيًا وَإِنْ لَمْ يَسْعَ فِي ذَلِكَ وَلَا أَظْهَرَهُ وَلَا تَسَبَّبَ فِي تَأْكِيدِ أَسْبَابِ الْكَرَاهَةِ الَّتِي نُهِيَ الْمُسْلِمُ عَنْهَا فِي حَقِّ الْمُسْلِمِ نُظِرَ: فَإِنْ كَانَ الْمَانِعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَجْزُ بِحَيْثُ لَوْ تَمَكَّنَ لَفَعَلَ فَهَذَا مَأْزُورٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَانِعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ التَّقْوَىٰ فَقَدْ يُعْذَرُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الْخَوَاطِرِ النَّفْسَانِيَّةِ، فَيَكْفِيهِ فِي مُجَاهَدَتِهَا أَنْ لَا يَعْمَلَ بِهَا وَلَا يَعْزِمَ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهَا ... فَمَنْ لَمْ يُجَاوِزْ ذَلِكَ إِلَىٰ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ لَمْ يَتْبَعْهُ مِنْهُ شَيْءٌ »(٢).

ومما يُعينُ على تركِ الحسدِ؛ أنْ يتذكَّرَ المسلمُ مصيرَ المحسودين، فإن كانوا من أهلِ الجنةِ المُكرَمين فكيف يحسِدُ رجلًا من أهلِ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٩) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٨٢).

الجنة، وإنْ كانوا من أهلِ النارِ فما تنفعُ الدنيا بأسْرِها ومصيرُ مالِكِها إلىٰ النار - عياذًا بالله -.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « مَا حَسَدْتُ أَحَدًا عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَيْفَ أَحْسُدُهُ وَهُوَ صَائِرٌ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَكَيْفَ أَحْسُدُهُ وَهُوَ صَائِرٌ إِلَىٰ النَّارِ »(١).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يَا ابْنَ آدَمَ لِمَ تَحْسُدُ أَخَاكَ، فَإِنْ كان الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، فَلِمَ تَحْسُدُ مَنْ أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَحْسُدَ مَنْ مَصِيرُهُ إِلَىٰ النَّارِ »(٢).

وقد جمع الماوردي في كتابه (أدبُ الدينِ والدنيا) جملةً من الأمورِ التي تُعين المُبتلىٰ بالحسِد علىٰ علاجِ دائه وتساعده علىٰ استجلابِ شفائه، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فَأَمَّا مَا يَسْتَعْمِلُهُ مَنْ كَانَ غَالِبًا

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٩).

عَلَيْهِ الْحَسَدُ، وَكَانَ طَبْعُهُ إِلَيْهِ مَائِلًا لِيَنْفِيَ عَنْهُ وَيُكْفَاهُ وَيَسْلَمُ مِنْ ضَرَرِهِ وَعَدَاوَتِهِ، فَأُمُورٌ هِيَ لَهُ حَسْمٌ إِنْ صَادَفَهَا عَزْمٌ.

فَمِنْهَا: اتِّبَاعُ الدِّينِ فِي اجْتِنَابِهِ، وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي آدَابِهِ، فَيَقْهَرُ نَفْسَهُ عَلَىٰ مَذْمُومِ خُلُقِهَا، وَيَنْقُلُهَا عَنْ لَئِيمِ طَبْعِهَا.

وَإِنْ كَانَ نَقْلُ الطِّبَاعِ عَسِرًا لَكِن بِالرِّيَاضَةِ وَالتَّدْرِيجِ يَسْهُلُ مِنْهَا مَا اُسْتُصْعِبَ، وَيُحَبَّبُ مِنْهَا مَا أَتْعَبَ.

فَإِذَا عَانَىٰ تَهْذِيبَ نَفْسِهِ تَظَاهَرَ بِالتَّخَلُّقِ دُونَ الْخُلُقِ، ثُمَّ بِالْعَادَةِ يَصِيرُ كَالْخُلُقِ. قَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ:

فَلَمْ أَجِدِ الأَخْلَاقَ إِلَّا تَخَلُّقًا ... وَلَمْ أَجِدِ الأَفْضَالَ إِلَّا تَفَضُّلا

وَمِنْهَا: الْعَقْلُ الَّذِي يَسْتَقْبِحُ بِهِ مِنْ نَتَائِجِ الْحَسَدِ مَا لَا يُرْضِيهِ، وَيَسْتَنْكِفُ مِنْ هُجْنَةِ مُسَاوِيهِ، فَيُذَلِّلُ نَفْسَهُ أَنَفَةً، وَيَقْهَرُهَا حَمِيَّةً، فَتُذْعِنُ لِرُشْدِهَا، وَتُجِيبُ إِلَىٰ صَلَاحِهَا. وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ لِذِي النَّفْسِ الْأَبِيَّةِ، وَالْهِمَّةِ الْعَلِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذُو الْهِمَّةِ يَجِلُّ عَنْ دَنَاءَةِ الْحَسَدِ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

أَبِيٌّ لَهُ نَفْسَانِ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ ... وَنَفْسٌ إِذَا مَا خَافَتِ الظُّلْمَ تُشْمِسُ

وَمِنْهَا: أَنْ يَسْتَدْفِعَ ضَرَرَهُ، وَيَتَوَقَّىٰ أَثَرَهُ، وَيَعْلَمَ أَنَّ مَكَانَتَهُ فِي نَفْسِهِ أَبْلَغُ وَمِنْ الْحَسَدِ أَبْعَدُ، فَيَسْتَعْمِلُ الْحَزْمَ فِي دَفْعِ مَا كَدَّهُ وَأَكْمَدَهُ لِيَكُونَ أَطْيَبَ نَفْسًا وَأَهْنَأَ عَيْشًا. وَقَدْ قِيلَ: الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا ... يَرَى بِصَوَابِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعُ

وَمِنْهَا: مَا يَرَىٰ مِنْ نُفُورِ النَّاسِ عَنْهُ وَبُعْدِهِمْ مِنْهُ فَيَخَافُهُمْ إِمَّا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةٍ، أَوْ عَلَىٰ عِرْضِهِ مِنْ مَلَامَةٍ، فَيَتَأَلَّفُهُمْ بِمُعَالَجَةِ نَفْسِهِ وَيَرَاهُمْ إِنْ صَلَحُوا أَجْدَىٰ نَفْعًا وَأَخْلَصَ وُدًّا. وَقَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

دَاوِي جَوًى بِجَوًى وَلَيْسَ بِحَازِمٍ ... مَنْ يَسْتَكِفُّ النَّارَ بِالْحَلْفَاءِ

وَقَالَ الْمُؤَمَّلُ بْنُ أُمَيْلٍ:

لَا تَحْسَبُونِي غَنِيًّا عَنْ مَوَدَّتِكُمْ ... إِنِّي إِلَيْكُمْ وَإِنْ أَيْسَرْتُ مُفْتَقِرُ

وَمِنْهَا: أَنْ يُسَلِّمَ لِلْقَضَاءِ وَيَسْتَسْلِمَ لِلْمَقْدُورِ، وَلَا يَرَىٰ أَنْ يُغَالِبَ قَضَاءَ اللهِ فَيَرْجِعُ مَغْلُوبًا، وَلَا أَنْ يُعَارِضَهُ فِي أَمْرِهِ فَيُرَدُّ مَحْرُومًا مَسْلُوبًا. وَقَدْ قَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ:

قَدَرُ اللَّهِ كَائِنٌ ... حِينَ يَقْضِي وُرُودُهُ

قَدْ مَضَى فِيكَ عِلْمُهُ وَانْتَهَى مَا يُرِيدُهُ
فَأَرِدْ مَا يَكُونُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُهُ

فَإِنْ أَظْفَرَتْهُ السَّعَادَةُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، وَهَدَتْهُ الْمَرَاشِدُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الصَّوَابِ، سَلِمَ مِنْ سَقَامِهِ، وَخَلُصَ مِنْ غَرَامِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالنَّقْصِ فَضْلًا وَاعْتَاضَ مِنْ الذَّمِّ حَمْدًا. وَلَمَنْ اسْتَنْزَلَ نَفْسَهُ عَنْ مَذَمَّةٍ فَصَرَفَهَا عَنْ لَائِمَةٍ هُوَ أَظْهَرُ حَزْمًا وَأَقْوَىٰ عَزْمًا مِمَّنْ كَفَتْهُ النَّفْسُ جِهَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا »[١].

ومما يُعين على تركِ الحسد؛ أنْ يعلمَ المسلمُ أنَّ خلوَّ القلبِ من الحسدِ سببٌ من أسبابِ دخولِ الجنةِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»[٢].

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦) والطبراني في مسند الشاميين (١٢١٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨٩).



ومما يَنفعُ في دفعِ شرِّ حسدِ الحاسدِ؛ تركُ مخالطتِه والبعدُ عن مجالستِه، قال الماورديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَإِذَا بُلِيَ الْإِنْسَانُ بِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ مِنْ حُسَّادِ النِّعَمِ وَأَعْدَاءِ الْفَضلِ اسْتَعَاذَ بِاَللهِ مِنْ شَرِّهِ، وَتَوَقَّىٰ مَصَارِعَ كَيْدِهِ، وَتَحَرَّزَ مِنْ غَوَائِلِ حَسَدِهِ، وَأَبْعَدَ عَنْ مُلَابَسَتِهِ وَإِدْنَائِهِ لِعَضلِ دَائِهِ، وَإِعْوَازِ دَوَائِهِ. فَقَدْ قِيلَ: حَاسِدُ النِّعْمَةِ لَا يُرْضِيهِ إلَّا زَوَالُهَا. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ ضَرَّ بِطَبْعِهِ فَلَا تَأْنَسْ بِقُرْبِهِ، فَإِنَّ قَلْبَ الْأَعْيَانِ صَعْبُ الْمَرَامِ.

وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ: أَسَدٌ تُقَارِبُهُ خَيْرٌ مِنْ حَسُودٍ تُرَاقِبُهُ. وَقَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ:

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي ... إلَّا الْحَسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي

مَا إنَّ لِي ذَنْبًا إلَيْهِ عَلِمْتُه ... إلَّا تَظَاهَرَ نِعْمَةَ الرَّحْمَنِ

وَأَبَى فَمَا يُرْضِيهِ إلَّا ذِلَّتِي ... وَذَهَابُ أَمْوَالِي وَقَطْعُ لِسَانِي»[1]

فالحاسدُ لا يصلحُ أن يكونَ صاحبًا، لأنَّ وجودَ النعمةِ يُسخِطُه، ولا يَرضىٰ إلا بزوالِها، وكفىٰ بهذا الطبعِ شُؤمًا ومَذمّةً.

---

(١) من عند قال الماوردي ... إلىٰ الترقيم. منقول من كتاب: أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٧٤).

قال معاويةُ: « كلُّ الناسِ أستطيعُ أن أُرضيَه إلا حاسدَ نعمةٍ فإنه لا يُرضيه إلا زوالُها »[١].

وعن علي بنِ بشر المروزي قال: كتب إليَّ ابنُ المباركِ هذه الأبيات:

كُلُّ الْعَداوَةِ قَدْ تُرْجَى إِماتَتُها ... إِلا عَداوَةَ مَنْ عاداكَ مِنْ حَسَدِ

فَإِنَّ في الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عُقِدَتْ ... وَلَيْسَ يَفْتَحُها راقٍ إِلَى الأَبَدِ

إِلا الإِلَهُ فَإِنْ يَرْحَمْ تُحَلُّ بِهِ ... فَالْجَأْ إِلَى اللهِ لا تَرْكَنْ إِلى أَحَدِ[٢]

وسُئِلَ بعضُ الحكماء: « أيُّ أعدائك لا تُحبُّ أنْ يعودَ لك صديقًا؟ قال: الحاسدُ الذي لا يردُّه إلىٰ مودَّتي إلّا زوالُ نِعمتي »[٣].

وقيل: « إياك أَنْ تتعنّىٰ فِي مودةِ من يحسِدُك، فَإِنَّهُ لا يقبلُ إحسانَك ».

---

(١) عيون الأخبار (٢/ ١٣).

(٢) العقد الفريد (٢/ ١٧١) وموارد الظمآن لدروس الزمان (٥/ ٤١٧). وعجُز البيت الأخير من المصدر الثاني.

(٣) العقد الفريد (٢/ ١٧١).

وقيل: « إِذَا أرادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُسلِّطَ عَلَىٰ عَبْدٍ عدوًا لا يرحمُه سلَّطَ عَلَيْهِ حاسِدُوه »[١].

فنسألُ اللهَ أنْ يُطهِّرَ قلوبَنا من الحسدِ والحقدِ والشحناء والبغضاء، وأنْ يجعلَ قلوبَنا سليمةً نافعةً يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم.



---

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٢٨٩).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً لا ينفَد، أفضلَ ما ينبغي أن يُحْمد، وصلىٰ الله وسلم علىٰ أفضلِ المُصْطَفَيْنَ محمد، وعلىٰ آله وصحبِه ومن تعبَّد.

أما بعد: فقد سمعتم في الخطبةِ الأولىٰ بعضَ الأسبابِ التي تُعينُ علىٰ تركِ الحسدِ وتُرشدُ إلىٰ البُعْدِ عن الاتصافِ بهذه الصفةِ الذميمة.

ولقائلٍ أنْ يقول: فما هي الأسباب التي تَقي المحسودَ شرورَ الحاسدين وكيف يتقي ضررَهم.

والجواب: هنالك أسبابٌ نافعةٌ في دفعِ شرورِ الحاسِدينَ عن ذوي النعمِ قبلَ أنْ تضرَّ بالمحسود، وأيضًا توجدُ أسبابٌ مشروعةٌ تنفعُ في علاجِ المحسودِ إذا ابتُلي بعينِ حاسدٍ، وتُرشِدُه إلىٰ السلامةِ والنجاةِ بإذنِ اللهِ تعالىٰ.

أمَّا قبلَ وقوعِ الضرر ووصولِ الخطر؛ فمما يعينُ المسلمَ علىٰ توقي شرورِ الحاسدين أن يكتمَ بعضَ أمورِه، فمَنْ أشْهَرَ

خصوصياتِه للعلَنِ فقد يَصحَبُه الفشلُ في فعلِه وتدبيرِه، وقد يُبتلىٰ بحسَدِ حاسدٍ أو كيدِ حاقدٍ لم يكن في حُسبانه ولا تقديرِه، لأنَّ الحسَدَ يجرُّ صاحبَه إلىٰ البغي والعدوانِ علىٰ غيرِه، كما دل علىٰ هذا المعنىٰ قصةُ إخوة يوسف، فحسَدُهم لأخيهم جرَّهم إلىٰ المكرِ به والتخلصِ منه كما هو معلوم ومذكورٌ في القرآن، وقد أوصاه أبوه بكتمان رؤياه عن إخوته حتىٰ يسلمَ من كيدِهم ويأمنَ من مكرِهم، قال سبحانه في كتابه الكريم عن رؤيا يوسفَ وما نصحه به أبوه بعد سماعِ خبرِ الرؤيا منه: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾[1].

فتأمَّلْ وصيةَ النبيِّ يعقوبَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ للنبيِّ يوسفَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: لا تقصُصْ رؤياكَ علىٰ إخوتِك، وكأنه يحذِّرُه بقوله: فإنك لن

(١) [يوسف: ٤-٥].

تسلمَ من حسدِ الحاسدين وكيدِ الحاقدين، ولذلك كان يقال: إذا أردتَ أنْ تسْلمَ من الحاسِدِ فعمِّ عليه أمورَك(١).

وعَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: « سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: لَا أَبَا لَكَ، أَمَا أَنْسَاكَ بَنِي يَعْقُوبَ حيث حسدوا يُوسُف، ولكن غُمَّ الحسدَ في صدرِك فإنه لا يضرُّك مَا لم يعْدُ لسانَكَ وتَعمَلْ به يدُك »(٢).

ومما يَدلُّ علىٰ الحاجةِ إلىٰ تركِ التظاهُرِ ببعضِ النعمِ وصيةُ نبي اللهِ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لأولادِه حيثُ قال: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾(٣).

---

(١) عيون الأخبار (٢/ ١٢).

(٢) الزهد لهناد بن السري (٢/ ٦٤٢) وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص/ ١٣٦).

(٣) [يوسف: ٦٧].

فمِنْ حِرصِه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ ولدِه أنه أوصاهُم بأنْ يتفرَّقوا عند الدخول، فإنَّ دخولَهم دفعةً واحدةً من بابٍ واحدٍ مثيرٌ للإعجابِ وملفتٌ للانتباه، قال قتادةُ: « كَانُوا قَدْ أُوتُوا صُورَةً، وَجَمَالًا فَخَشِيَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَ النَّاسِ »(١).

وقال الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يقولُ تعالىٰ ذِكْرُه: قال يعقوبُ لبنيه لمَّا أرادُوا الخروجَ مِن عِندِه إلىٰ مصرَ ليمتارُوا الطعامَ: يا بنيَّ لا تدخلُوا مصرَ من طريقٍ واحدٍ، وادخلوا من أبوابٍ متفرِّقة، وذُكِرَ أنه قال ذلك لهم، لأنهم كانوا رجالًا لهم جمالٌ وهيأةٌ، فخاف عليهم العينَ إذا دخلوا جماعةً من طريقٍ واحدٍ، وهم ولدُ رجلٍ واحد، فأمرَهم أنْ يفترِقُوا في الدّخولِ إليها، كما قال الضحاكُ في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾، قال: خافَ عليهم العينَ »(٢).

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢١٨).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث (١٦/ ١٦٤).

وقال الماورديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَاعْلَمْ أَنَّ بِحَسَبِ فَضْلِ الْإِنْسَانِ وَظُهُورِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ يَكُونُ حَسَدُ النَّاسِ لَهُ. فَإِنْ كَثُرَ فَضْلُهُ كَثُرَ حُسَّادُهُ، وَإِنْ قَلَّ قَلُّوا؛ لِأَنَّ ظُهُورَ الْفَضْلِ يُثِيرُ الْحَسَدَ، وَحُدُوثَ النِّعْمَةِ يُضَاعِفُ الْكَمَدَ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَعِينُوا عَلَىٰ قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِسَتْرِهَا فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ» »(١).

ومما يُدفعُ به أثرُ حسَدِ الحاسدين؛ الاستعاذةُ بالله من شرورِهم، ولذلك أمرَ اللهُ بالاستعاذةِ من شرِّ كلِّ حاسدٍ، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾(٢)، فقد أمرَ اللهُ نبيَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أنْ يتعوَّذَ من شرِّ الحاسدِ إذا حسد، قال ابن السَّمّاك: « أنزلَ اللهُ

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٣) عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وكلام الماوردي من كتاب أدب الدنيا والدين (ص/ ٢٧١).

(٢) [الفلق: ١-٥].

تعالىٰ سورةً جعلها عُوذةً لخلقِه من صنوفِ الشرِّ، فلمَّا انتهىٰ الىٰ الحسَدِ، جعلَه خاتمًا إذْ لم يكن بعدَه في الشرِّ نهاية »[١].

فالتَّعوّذُ باللهِ يعصِمُ المستعيذَ بإذن اللهِ ويحميهِ من الشرورِ قبل وصولِها ويعالجُ منها بعد الإصابةِ بها؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّىٰ نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا»[٢].

ومن الرقيةِ المشروعةِ، ما رواه مسلمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟**» فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**»[٣].

والشاهدُ أنَّ جبريلَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ضمَّنَ الرقيةَ الدعاءَ بالشفاءِ من شرِّ النفوسِ الخبيثةِ وأعينِ الحاسدين، فمن اعتصمَ باللهِ كفاه، ومن

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ٢٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٥٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٠٢).

(٣) رواه مسلم (٢١٨٦).

توكَّلَ عليه حماهُ، ومن استهدىٰ به هداه، ومن صدَقَ في الاستشفاءِ بالقرآنِ والرقيةِ المشروعةِ شفاه اللهُ وعافاه.

ومما يعينُ النفوسَ على مدافعةِ الحسدِ وما ينتجُ عنه، أنَّ الشخصَ إذا رأىٰ ما يُعجبُه أن يدعوَ بالبركةِ، وأنْ لا يسترسلَ في إطلاقِ بعضِ العباراتِ التي تزيدُ من شَرَهِ النفسِ وتماديها في الإعجابِ بما يُعطاهُ الآخرون، ثم إنْ أصابَ أحدًا بعينِه فعلاجُه أنْ يأخذوا من أثَرِ وَضوئه ويَغسلوا به المصابَ بالعين، والدليلُ حديثُ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ عَلَىٰ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ، فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا. فَقَالَ: «مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ؟» قَالُوا: عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ. فَقَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَىٰ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ». وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَىٰ مِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ وَيَصُبَّ الْمَاءَ عَلَيْهِ. قَالَ مَعْمَرٌ: «قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَيَكْفَأُ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ»[(١)].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٩٦١٦) والطبراني في الكبير (٥٥٨٢) وابن ماجه (٣٥٠٩)، وأحمد (١٥٩٨٠) باختلاف يسير. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٢٠).

فشـفاه الله وسـافر مـع الركـب، كمـا عنـد النسـائي: فَـرَاحَ مَـعَ الرَّكْبِ(١).

هذا وصلُّوا وسلِّموا علىٰ نبيكِم، فإنَّ الإكثارَ من الصلاةِ عليه سببٌ للقُرْبِ منه يومَ القيامةِ. اللهم صلِّ وسلمْ علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم انصرْ من نصرَ الدين، واخذلْ من يخذلُ المسلمين، اللهم اجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين.

اللهم آتِ نفوسَنا تقواها وزكِّها أنتَ خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم توفَّنا مسلمين وألحِقنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالِدِينا أجمعين.

اللهم اغفرْ لمن حضَر هذه الخطبةَ ولوالديه، وافتحْ للموعظةِ قلبَه وأُذُنيَه، واجعلْ ما سمعَه حُجةً له لا عليه، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. والحمدُ لله رب العالمين.



(١) سنن النسائي الكبرىٰ (٩٩٦٥).

٩ - خطبة جمعة بعنوان/

[حفظُ النفسِ ضرورة شرعية ومصلحة اجتماعية]

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له؛ علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وكلُّ شيءٍ إليه فقير، وكلُّ أمرٍ عليه يسير، لا يحتاجُ إلىٰ شيء، ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصير.

خلقَ الخلقَ بعلْمِهِ وقدَّر لهم أقدارًا، وضرَبَ لهم آجالاً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُون قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وأمرَهُمْ بطاعتِه ونهاهم عن معصيته، وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يكُن، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ من يشاءُ ويخذلُ ويبتلي عدلًا، وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، وتعالىٰ سبحانه عن الأضدادِ والأنداد، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غالب لأمره.

أيا غافرَ الذنبَ العظيمَ وساترَهْ ... ويا مَنْ له ذَلَّت رقابُ الجبابِرهْ
فَعلتَ بنا مِنْ أوّلِ الأمرِ كلِّه ... جميلاً، فأتْبِعْ أوّلَ الأمرِ آخِرَهْ

وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ المرتضىٰ، وأنه خاتمُ الأنبياء وإمامُ الأتقياء وسيدُ المرسلين، وخليلُ ربِّ العالمين.

نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلا ارْتِيَابِ ... بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ
وَأَنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أُرْسِلا ... بِهِ وَكُلُّ مَا إِلَيْهِ أُنْزِلا
وَكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدِ ادَّعَى ... نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى
فَهْوَ خِتَامُ الرُّسْلِ بِاتِّفَاقِ ... وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلاقِ

صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، صلاةً مستمرَّةَ الدوام، جديدةً علىٰ مرِّ الليالي والأيام.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في السر والعلن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1].

---

(١) [الحشر: ١٨].

مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوىٰ، ولَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللهَ شَيْئًا.

أيُّها المسلمون عبادَ الله: إنَّ مِنْ مقاصدِ الشريعةِ الإسلامية إزالةَ الضررِ ورفعَهُ ودفعَه، ومقاصدُ الشريعة الإسلامية قسَّمها العلماءُ إلىٰ ثلاثةِ أقسام: وهي الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات[١].

فالتحسينياتُ تُعنىٰ بمكارمِ الأخلاق وجميلِ الخصال الحِسّيةِ كالطهارة والمعنويةِ، كمحاسنِ الأخلاقِ المستحبّة، والحاجيّاتُ جاءتْ برفعِ الضررِ عن الناسِ، كالرُّخَص في تركِ الصيامِ وقَصْرِ الصلاةِ في حالاتِ السفرِ والمرضِ وبقيةِ الأعذار، وأما الضرورياتُ فقد اتفقتْ عليها جميعُ الشرائع السماوية، وتتمثل الضرورياتُ في خمسةِ أشياء:

حفظِ الدِّينِ، وحفظِ النفْسِ، وحفظِ العقلِ، وحفظِ النَّسْلِ أو العرض، وحفظِ المال.

---

(١) ينظر الموافقات للشاطبي (٢/ ٦٢)، وكتاب تيسير الوصول إلىٰ منهاج الأصول لابن إمام الكاملية (٦/ ٢٦٤).

والمقصودُ في هذا المقامِ هو الكلامُ عن حفظِ النفس، فإنَّ هذا مقصدٌ عظيمٌ مباركٌ وهو من الضرورياتِ الخمسِ أو الكُلِّياتِ الخمسِ التي اتفقتْ علىٰ المحافظةِ عليها جميعُ الشرائعِ السماوية.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾(١).

قال الشاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَنَفْسُ الْمُكَلَّفِ دَاخِلَةٌ فِي حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلَيْسَ لَهُ التَّسْلِيطُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَلَا عَلَىٰ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ بِالْإِتْلَافِ »(٢).

وأخبرَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ رجلًا ممّن كان قبلنا تصرَّفَ في نفسِه وقتلَها فحرَّم الله عليه الجنة، روىٰ البخاري من حديثِ جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ**

---

(١) [النساء: ٢٩].

(٢) الموافقات (٢/ ٥٤٦). مع تغيير يسير في اللفظ ليناسب السياق ولا يخالف مقصود كلام الشاطبي.

حَتَّىٰ مَاتَ! قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»(١).

وقال اللهُ تعالىٰ مبينًا حُرْمَةَ النفسِ وعظمتَها وأنه أقسمَ بها - وربُّنا جلَّ شأنه لا يُقسم إلا علىٰ أمرٍ عظيم وبأمرٍ عظيم - قال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾(٢).

ومما يدلُّ علىٰ حفظِ الشريعةِ للنفسِ المُحَرَّمةِ؛ تحريمُ القتلِ عمدًا بغير حقٍّ، قال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١﴾(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٣).

(٢) [الشمس: ٧-٨].

(٣) [الأنعام: ١٥١].

وحرَّم اللهُ علىٰ الإنسانِ أن يقتلَ نفسَهُ أو ولدَه، حتىٰ وإنْ كان فقيرًا أو يخشىٰ الفقرَ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾(١). قال ابنُ جريرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ويعني بقولِهِ: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ﴾ خوفَ إقتارٍ وفَقْرٍ »(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ﴾(٣)، قال السُّدِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الإملاقُ: هو الفقرُ »(٤).

وأخبر النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ قتلَ النفسِ من أكبرِ الكبائر؛ قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**»(٥). فذكر منهن قتلَ النفسِ.

---

(١) [الإسراء: ٣١].

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث (١٧/ ٤٣٦).

(٣) [الأنعام: ١٥١].

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث (١٢/ ٢١٧).

(٥) رواه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (١٤٥).

وأخبرَ النبيُّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «أنَّ العبدَ لا يزالُ في فُسحَةٍ من دينهِ مالم يُصِبْ دمًا حرامًا»(١).

وفي لفظ عند أبي داود: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ»(٢).

وأخبر النبيُّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه: «لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ؛ الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»(٣).

وقال ابنُ تيميةَ رَحِمَهُٱللَّهُ: « الفسادُ إمّا في الدِّينِ وإما في الدُّنْيَا، فأعظمُ فسادِ الدُّنْيَا قتلُ النُّفُوس بغير الحقّ، ولهَذَا كَانَ أكبرَ الكبائر بعد أعظمِ فسادِ الدين الَّذِي هُوَ الكفر »(٤).

وقد قرن اللهُ في كتابِه بينَ أعظمِ فسادِ الدين وأعظمِ فسادِ الدنيا.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) سنن أبي داود (٤٢٧٠) والمعجم الأوسط للطبراني (٩٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٩٣). من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦) واللفظ لمسلم عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٥٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[1]: « وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ لِمَنْ تَعَاطَىٰ هَذَا الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، الَّذِي هُوَ مَقْرُونٌ بِالشِّرْكِ بِاللهِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، حَيْثُ يَقُولُ، سُبْحَانَهُ، فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ »[2].

وأخبرَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ من قتلَ نفسَه فقد توعَّدَه اللهُ بالنار، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا،**

---

(١) [النساء: ٩٣].

(٢) [الفرقان: ٦٨].

وَمَنْ تَرَدَّىٰ مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[١].

وفي هذا دليلٌ واضحٌ وصريحٌ علىٰ تحريمِ قتلِ المرءِ نفسَه لأيِّ سببٍ من الأسباب.

وقتلُ بعضِ المسلمين لأنفسِهم في هذا الزمان علىٰ أضْرُبٍ كثيرة، منها: قتلُ بعضِهم بعضًا في هذه الفتنِ الحاصلةِ بين المسلمين، ومنها أنْ يقتلَ المرءُ نفسَه بسبب شبهةٍ من الشبهات، أو بتغريرٍ ممن أباح له أن يُفجِّرَ نفسَه، أو ينتحرَ في مكانٍ ما، وهذا مخالفٌ لقواعدِ الشريعةِ الإسلامية ولنصوصِ القرآنِ والسُّنة.

ومنهم من يقتلُ نفسَه في وسائلِ الترفيهِ واللعبِ، التي عُرف ضررُها وتتابع علىٰ المرتادين لها خطرُها، ومن تلك الأفعالِ المشينةِ التي تُلحِقُ الضررَ بمن يفعلُها هو العبثُ بالسيارات، واستخدامُها في غير ما صُنعتْ له، فترىٰ بعضَ الناسِ يُسرعُ سُرعةً جنونيةً، وترىٰ بعضَهم يدورُ بسيارته عِدَّةَ دورات! وهذا من

---

(١) رواه مسلم (١٧٥).

العبثِ المحرَّمِ في الإسلامِ، لأنه انتهاكٌ لحُرمَةِ النفسِ المُحرَّمةِ، فكم ماتَ أُناسٌ بسبب هذا العبَثِ، بل إنَّ مِن أكثرِ أسبابِ حالات الوفاةِ في هذا العصرِ هي حوادث السيارات، نتيجةَ التهوُّرِ وسوءِ الاستعمال، وهذا مخالفٌ لقواعدِ الإسلامِ العامّةِ التي جاءت بحفظِ النفسِ والمال، بل مخالفٌ لقواعدِ الشرائعِ السماويةِ كلِّها من حيثُ العموم.

وإذا كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبرَ أنَّ ذلك الرجلَ الذي جاهدَ وقاتلَ وبذَلَ نفسَه وأوجعَ في المشركين ثم لمَّا قَتَل نفسَه صارَ من أهل النار! فما بالُك بالذي يقتلُ نفسَه ويُتلِفُها بدونِ سببٍ ولا عُذرٍ ولا حجةٍ ولا دافعٍ صحيح.

روى البخاريُّ عن سهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «التقى النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو والمشركون فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَىٰ عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ». قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[١].

---

(١) رواه البخاري (٤٢٠٢) ومسلم (١٧٩).

فما بالُنا بمن يَتسبَّبُ في قتلِ نفسِهِ أو إصابتِها، ولربما أصاب العشراتِ من الناس! إن هذا عبثٌ عجيبٌ ربما لم يسبق له مثيلٌ!

أقولُ ما سمعتم وأستغفرُ اللهَ إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا علىٰ الظالمين، وصلىٰ اللهُ وسلم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وعلىٰ آلِه وصحبِهِ أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ ممّا جاءتْ به الشريعةُ الإسلاميةُ من أجلِ حِفظِ النفس؛ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرَّم المزاحَ بالحديدِ، فقد روىٰ مسلمٌ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّىٰ يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**»[١].

قال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ تَأْكِيدُ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ وَالنَّهْيُ الشَّدِيدُ عَنْ تَرْوِيعِهِ وَتَخْوِيفِهِ وَالتَّعَرُّضِ لَهُ بِمَا قَدْ يُؤْذِيهِ. وَقَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**» مُبَالَغَةٌ فِي إِيضَاحِ عُمُومِ

---

(١) رواه مسلم (٢٦١٦).

النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ؛ سَوَاءٌ مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ وَمَنْ لَا يُتَّهَمُ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا هَزْلًا وَلَعِبًا أَمْ لَا، لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ، وَلِأَنَّهُ قَدْ يَسْبِقُهُ السِّلَاحُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ. وَلَعْنُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ حَرَامٌ»[(١)].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا»[(٢)].

وأرشدَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المارَّ في أوساطِ الناسِ ومعه نبلٌ أنْ يأخذَ بنصالِ نبْلِهِ حتىٰ لا يُصيبَ أحدًا من المسلمين، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَىٰ نِصَالِهَا بِكَفِّهِ؛ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ أَوْ قَالَ: لِيَقْبِضْ عَلَىٰ نِصَالِهَا»[(٣)]. أي: لئلا يُصيبَ أحدًا من المسلمين.

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٤) ومسلم (١٦١) من حديث ابن عمر وأبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) رواه مسلم (٢٦١٥).

ومن الأدلَّةِ على عنايةِ الشريعةِ بحفظِ النفسِ أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أنْ ينامَ الرجلُ والنارُ مشتعِلةٌ في بيتِه، فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَحُدِّثَ بِشَأْنِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ**»(١).

ومما يدلُّ على عنايةِ الإسلامِ بحفظِ النفسِ أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أنْ يبيتَ الرجلُ وحدَه، وأن يسافرَ بليلٍ وحدَه، ففي البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**»(٢).

قال المُهلَّبُ رحمه الله: « نهيُه عليه الصلاة والسلام عن الوَحدةِ في سيرِ الليلِ إنما هو إشفاقٌ على الواحدِ من الشياطين؛ لأنه وقتُ انتشارِهم وأذاهُم للبشرِ بالتمثُّلِ لهم، وما يُفزِعُهم ويُدخلُ في

---

(١) رواه البخاري (٦٢٩٤) ومسلم (٢٠١٦).

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٨).

قلوبهم الوساوسَ؛ ولذلك أمرَ الناسَ أن يحبِسوا صبيانَهم عند حَدَقةِ الليل »[١].

ومن عنايةِ الشريعةِ الإسلاميةِ بحفظِ النفسِ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ بإغلاقِ الأبواب، وذكرِ اسمِ الله، وأمرَ بتغطيةِ الآنية وذكرِ اسمِ الله، وأمرَ بإيكاءِ الأسقيةِ وذكرِ اسمِ الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ**»[٢]. والعِلةُ في الأمرِ بتغطيةِ الآنيةِ وإيكاءِ الأسقيةِ بيَّنها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقولِه: «**فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ**»[٣].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٥٥).

(٢) رواه البخاري (٣٣٠٤) ومسلم (٢٠١٢) واللفظ لمسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٢٠١٤).

والتعليماتُ والوسائلُ التي جاءت بها الشريعةُ الإسلاميةُ لحفظِ النفسِ كثيرةٌ وكثيرة.

والذي ينبغي أنْ يُعلمَ أنه لا يجوزُ العبثُ بالأنفسِ ولا بالأموال، وأنَّ كلَّ ما يؤدي إلىٰ إتلافِ الأنفسِ بغير حقٍّ فإنه ممنوعٌ شرعًا، وكلَّ ما فيه حفظُ النفسِ من الأنظمةِ والتعليماتِ فإنه ينبغي لنا أن نحرصَ علىٰ الالتزامِ بها، ومن ذلك تعاليمُ وإرشاداتُ المُرور، فإنها وُضِعتْ للحفاظِ علىٰ أرواحِ الناسِ وممتلكاتِهم، فينبغي للجميعِ التقيُّدُ والالتزامُ بتعليماتِ المرور حرصًا علىٰ أنفسِهم وأموالِهم، وكذلك مراعاةً لحقوقِ الآخرين وأحوالِهم.

ولنتذكَّر - أيها الناس - أنَّ امتلاكَ السياراتِ من النعمِ التي يتمنَّاها ملايينُ البشَرِ، فإنَّ امتلاكَ السيارةِ في بعضِ البُلدانِ شيءٌ لا يصِلُ إليه إلَّا العددُ القليلُ من الناس، بل إنَّ بعضهم يتمنىٰ سيارةً ليُسعِفَ مريضَه، أو يَنقُلَ جريحَه فلا يجد، وأنتَ يا من قد أنعمَ اللهُ عليك بأيِّ نوعٍ من السيارات، عليك أن تحافظَ علىٰ هذه النّعمِ. ولنحرصْ جميعًا علىٰ تركِ الكبرِ والغرور والبطَرِ والعبثِ

بالنعمِ حتىٰ لا نتسبَّبَ في فُقدانِها وذَهابِها، فإنَّ النعمَ إذا شُكرتْ قرَّتْ وإذا كُفِرتْ فرَّتْ.

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾(١).

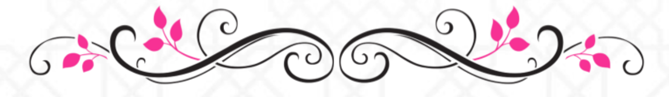
اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتُّقىٰ والعفافَ والغنىٰ، اللهم انصرْ من نصرَ الدين، واخذلْ من يخذلُ المسلمين.

اللهم اغفر لمن حضرَ هذه الخطبة ولوالديه، وافتح للموعظةِ قلبَه وأُذنيه، واجعل ما سمعه حجةً له لا عليه.

اللهم اجعل خير أعمارنا آخرها وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، اللهم أحسن خاتمتنا وعاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم آتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذابَ النار، برحمتِك يا أرحمَ الراحمين.

اللهم صلِّ وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



---

(١) [إبراهيم: ٧].



١٠ - خطبة جمعة بعنوان/

[أهمية المحافظة على صلاة الجماعة]

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الصلاةَ قُرَّةَ عُيونِ الموحِّدينَ الأبرار، وروضةَ المُتَّقينَ الأخيار، أحمدُه عددَ التسبيحِ في الركوعِ والسجود، وعددَ التكبيرِ عند القيامِ والقعود.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، جعل الصلاةَ أعظمَ العباداتِ البدنيَّة، وعونًا علىٰ تركِ الفواحشِ والمنكراتِ الرديّة.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه، أحسنُ الناس صلاةً وخشوعًا، وأتمُّ الخلقِ سجودًا وركوعًا، كان يأنسُ بالصلاةِ ويرتاح، ويُؤديها بطُمأنينةٍ وانشراح، وإذا حزبَه أمرٌ قال: يا بلالُ: أَذِّنْ بالصلاة لِنَرتاح، بل كان يقومُ من الليلِ حتىٰ تتفطرَ قدماه، شُكرًا لخالِقِهِ ومولاه.

فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلىٰ أصحابِه والتابعين وكلِّ تابع، ما تجافت جُنوبُ المصلِّين عن المضاجع.

أما بعد: فأُوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلَن، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

من يُطعِ اللهَ ورسولَه فقد رَشَد، ومن يعصِ اللهَ ورسولَه فقد غوىٰ، ولا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ اللهَ شيئًا.

عبادَ الله: هذا تذكيرٌ بأهميةِ المحافظةِ علىٰ صلاةِ الجماعة، وما أدراكم ما صلاةُ الجماعة.

جاءَ الحثُّ علىٰ المحافظةِ عليها في القرآنِ الكريم، وفي سنةِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ففي كتابِ الله يدلُّ عليه قولُه تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾(٢).

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَقَوْلُهُ: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ فِيهِ الْإِرْشَادُ إِلَىٰ شُهُودِ الْجَمَاعَةِ وَالْخُرُوجِ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مَا هُوَ مَعْرُوفٌ »(٣).

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) [البقرة: ٤٣].

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٩١).

ويدلُّ علىٰ أهميةِ صلاةِ الجماعةِ أيضًا: قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ﴾(١).

الآية في وصفِ صلاةِ الخوف، وفي تفسير ابنِ عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال جمهور الأمة: الآيةُ خطابٌ للنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو يتناولُ الأمراءَ بعدَه إلىٰ يومِ القيامة»(٢).

ووجهُ الشاهدِ من الآية؛ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شرعَ لأمةِ محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صلاةَ الخوفِ عندَ اشتدادِ القتال، والحكمةُ من مشروعية صلاةِ الخوف؛ هو المحافظةُ علىٰ صلاةِ الجماعةِ، وليس علىٰ الصلاةِ بمفردِها، إذْ لو كان أداءُ الصلاةِ فُرادىٰ مطلوبًا كافيًا لاستطاعَ المقاتلون أن يصلِّيَها كلٌّ علىٰ حِدَةٍ، لكنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أرادَ أنْ تبقىٰ شعيرةُ صلاةِ الجماعةِ قائمةً في أحلكِ

---

(١) [النساء: ١٠٢].

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٠٥). [سورة النساء: ١٠٢].

الظُّروفِ وأشدِّ المواقف، فشرعَ صلاةَ الخوفِ ولم يؤمَرُوا بتَركِها.

هذا في وقتِ القتال، فما بالُ كثيرٍ من الناسِ لا يُبالون بصلاةِ الجماعةِ ولا يُحافظون عليها وهم في عافيةٍ وأَمْنٍ وأمان؟

وقد جاء في المحافظةِ علىٰ صلاةِ الجماعةِ فضائلُ كثيرة، في الأحاديثِ الواردةِ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها: أنها أفضلُ من صلاةِ الرجلِ وحدَه بِبضعٍ وعشرين درجة، كما صحَّ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

والمشيُ إلىٰ صلاةِ الجماعةِ عبادةٌ، ولذلك قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»(٢). ولأهمّيَتِها فإنَّ المصلي من وقتِ وصولِه إلىٰ المسجدِ ينتظرُ الصلاةَ فإنه في

(١) أخرجه البخاري (٢١١٩) ومسلم (٦٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢١١٩) ومسلم (٦٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عبادة، فإذا صلَّاها وجلسَ في مكانِه فإنه في عبادة، ولذلك قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ»[(١)]. يعني إذا دخلَ المسجدَ قبلَ الصلاةِ بوقتٍ وجلسَ ينتظرُها حتىٰ ولو لم يكنْ يصلي نافلةً فإنه يُكتبُ له من الأجرِ كأنه يصلي، وهذا ثوابٌ عظيم يغفُلُ عنه كثيرٌ من الناس اليوم، وقد كان السلفُ يحرصون عليه، قال سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ اللَّهُ: « ما فاتتني صلاةُ الجماعةِ أربعين سنة »، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: « مَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ »[(٢)]، وقال عديُّ بنُ حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « مَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ إِلَّا وَأَنَا إِلَيْهَا بِالْأَشْوَاقِ، وَمَا دَخَلَ وَقْتُ صَلَاةٍ قَطُّ إِلَّا وَأَنَا لَهَا مُسْتَعِدٌّ »[(٣)].

وكان سفيان بن عُيينةَ يقول: « قَالَ رَجُلٌ: مِنْ تَوْقِيرِ الصَّلَاةِ أَنْ تَأْتِيَ قَبْلَ الْإِقَامَةِ »[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الزهد للإمام أحمد (ص/ ٣١٠) رقم (٢٢٥٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٥٦٠).

(٣) الزهد للإمام أحمد (١١٢١).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٢٨٥).

وحضورُ الجماعاتِ من الكفَّارات، كما عند الترمذي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «أنَّ الكفَّارَات: المُكْثُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالْمَشْيُ عَلَىٰ الْأَقْدَامِ إِلَىٰ الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[1].

وبيَّنَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّ «مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»[2].

ولقد كان السلف يُدركون هذه المعاني ويَحرِصون علىٰ صلاةِ الجماعة، فلرُبَّما حُمِلَ أُحدُهم إلىٰ المسجدِ وهو مريضٌ، اقتداءً بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: فقد مرِض عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فقال: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟» قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: فقلنا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ». قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟»

---

(١) سنن الترمذي (٣٢٣٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩).

(٢) رواه البخاري (٦٣١) ومسلم (٦٦٩). عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ». قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ». فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» فَقُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا: يَا عُمَرُ، صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ، لِصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ... إلى آخر الحديث[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٨٧) ومسلم (٤١٨).

وعامرُ بنُ عبدِ الله بنُ الزبيرِ سمعَ المؤذِّنَ وهو في مرضِ الموتِ، فقال: خذوا بيدي، قالوا: إنك عليلٌ، قال: «أسمعُ داعيَ اللهِ ولا أُجيب؟ فأُدخِلَ مع الإمام في المغربِ، فركعَ ركعةً ومات»[١].

وعَن ابْن خَفِيف أَنه كَانَ بِهِ وجعُ الخاصِرة، فَكَانَ إِذا أَخذَه أقعدَه عَن الْحَرَكَة، فَكَانَ إِذا أُقِيمَت الصَّلَاة يُحملُ علىٰ الظّهْر إِلَى الْمَسْجِد، فَقيل لَهُ: لَو خففَّتَ عَن نَفسِك. قَالَ: « إِذا سَمِعْتُمْ حيَّ علىٰ الصَّلَاة وَلم تروني في الصَّفّ فاطلبوني في الْمَقَابِر »[٢].

وهذا من فقهِهم بأهميةِ المحافظةِ علىٰ صلاةِ الجماعة، فقد روىٰ مالكٌ في الموطأ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَدَ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي حَثْمَةَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، فسأل عنه، فقالوا: إِنَّهُ بَاتَ يُصَلِّي، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ - أي: قبلَ صلاةِ الفجر -، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ أَشْهَدَ صَلَاةَ الصُّبْحِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً»[٣]. وهذا من فِقهِ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٠).

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٣/ ١٥٤).

(٣) موطأ مالك (٣٢٨).

عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وتعظيمِه لشأنِ صلاةِ الجماعة، ويدلُّ علىٰ صحةِ هذا المعنىٰ حديثُ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ صَلَّىٰ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّىٰ اللَّيْلَ كُلَّهُ**»(١).

وفضائلُ حُضورِ الجماعاتِ كثيرةٌ، وكلَّما كانتِ الجماعةُ أكثر وأكبر كان الأجرُ أعظم، ولذلك قال النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**صَلاةُ الرَّجُلِ مَع الرّجُلِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهِ وَحْدَه، وَصلاتُهُ مَع الرَّجُلَين أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا زَادَ فَهُو أَحبّ إلىٰ الله**»(٢).

ومن فوائدِ حضورِ صلاةِ الجماعةِ أنَّ الشياطينَ يقلُّ وسواسُها وتسلُّطُها علىٰ المصلينَ مع جماعةِ المسلمين، فيكونُ حضورُ القلب في أداء الصلاة أكثرَ مما لو صلَّىٰ وحده، ويدلُّ علىٰ هذا المعنىٰ حديثُ أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال:

---

(١) رواه مسلم (٦٥٦).

(٢) رواه أحمد (١٤٠) وأبو داود (٥٥٤) والنسائي (٨٤٣) وابن حبان (٢٠٥٦) وابن ماجه (٧٩٠) من حديث أبي بن كعب. وصححه العقيلي في الضعفاء (٢/ ١١٦). والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤٧).

«مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ من الغنمِ الْقَاصِيَةَ»، قَالَ السَّائِبُ: «يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ: الْجَمَاعَةَ فِي الصَّلَاةِ»(١).

أقول ما سمعتم، وأَستغفِرُ الله، إنه هو الغفورُ الرحيم.



(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١٣٠٦) وابن أبي شيبة في مسنده (٣١) وأحمد في المسند (٢١٧١٠) وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند (٢١٧١٠).

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

عبادَ الله: جاء في الصحيحِ عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَىٰ قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»[(١)].

هذا زجرٌ ووعيدٌ من النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وفيه دلالةٌ علىٰ أهميةِ حضورِ الجماعات، وفيه التنفيرُ الشديدُ عن التخلفِ عن صلاةِ الجماعة من غير عُذرٍ، بل جاء عن عبدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه قال: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

(١) رواه البخاري (٦٧٩٧) ومسلم (٦٥١).

سُنَنَ الْهُدَىٰ، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَىٰ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَىٰ مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَىٰ بِهِ يُهَادَىٰ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ[(١)].

ولا ينبغي لمسلمٍ أنْ يَخُصَّ أحدًا بالحكمِ عليه إذا تخلَّف عن الجماعةِ، ولكنْ كان هذا هو الظاهرُ في عهدِ صحابةِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما التخصيصُ فلا ينبغي، إذْ قد يتخلفُ بعضُ الناسِ لِعُذرٍ لا يعلمه الناس، والمسلمُ يهتمُّ بإصلاحِ نفسِه، ويأخذُ من هذا الأثرِ العبرةَ والموعظة.

ألا فلْنَحْرِصْ - سلَّمَكم الله - علىٰ حضورِ صلاةِ الجماعةِ قدرَ الإمكان، ولا ينبغي لبالغٍ عاقلٍ مُكَلَّفٍ من الرجال أن يَتخلَّفَ عن

---

(١) رواه مسلم (٦٥٤).

هذه الشعيرةِ العظيمةِ إلا لِعُذْر، فإنْ تخلَّفَ عنها فلا يفوِّتْ أداءها في الوقتِ الذي يستطيع، وعلىٰ الحالِ التي يستطيع، فإنَّ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد جاءه رجلٌ أعمىٰ يستأذنُ في التخلُّفِ عن صلاةِ الجماعة، فأذِنَ له النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في بادئ الأمر، ثمَّ لَمَّا وَلَّىٰ دَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَجِبْ»(١).

فينبغي للمسلمين جميعًا أن يحرِصوا علىٰ أداءِ هذه الشعيرةِ المباركةِ في أوقاتِها وأماكِنها المشروعةِ في جميعِ الأحوال.

وتذكَّروا - سلَّمكُمُ الله - أنَّنا الآنَ نستطيعُ أَداءهَا من دونِ تعبٍ ولا مشقَّةٍ، بسببِ وجودِ العافية في أبدانِنا والحمدُ لله، والسلامةِ والأمنِ في أوطاننا - والحمدُ لله أيضًا - فلا تغترَّ ولا تأمن أن يأتيَ زمانٌ يُحالُ بينك وبينَ أداءِ صلاةِ الجماعةِ في المسجد، إمَّا لِفُقدانِ الصحةِ في الأبدانِ، أو لِفقدانِ الأمنِ في مكانِ إقامتِك، أو لتغيُّرِ الأحوالِ، فإنه يوجدُ في بعضِ البُلدان، من لا يستطيعُ حضورَ

(١) رواه مسلم (٦٥٣). من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

الجماعاتِ كلِّها في المساجد، وإذا داومَ أحدُهم علىٰ أداءِ صلاةِ الجماعةِ في المساجدِ فإنه يبقىٰ تحت المراقبةِ والمُلاحظةِ والمتابعة!

ونحن في نعمٍ كثيرةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فينبغي أن نشكرَ اللهَ عليها، وأنْ لا نُقَصِّرَ في إقامةِ شعائرِ الدِّينِ ما استطعنا، ولْنَعْلَمْ أنَّ نِعمَ اللهِ ينبغي أنْ تُشكَرَ ولا تُكفَر، وشكرُها يكونُ بإرضاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأداءِ طاعتِه فيها، وكفرُها يكونُ بارتكابِ معصيةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتركِ طاعتِهِ فيها، أعاذنا الله وإياكم من كُفرانِ النعم.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾[1].

اللهُمَّ إِنَّا نسأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ، اللهم أرِنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتِّباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابَه.

---

(١) النساء: [٦٦- ٦٨].

اللهمَّ أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم انصرْ من نصرَ الدين، واخذُلْ من يخذلُ المسلمين، اللهم اجعل هذا البلدَ آمنًا مُطمئنًّا وسائرَ بلادِ المسلمين.

اللهم توفَّنا مسلمين، وألحِقنا بالصالحين، واغفر لنا ولوالِدينا أجمعين.

اللهم إنا نعوذُ بك من الفتنِ ما ظهرَ منها وما بَطَن، اللهم اجعل خيرَ أعمالِنا أواخِرَها، وخير أعمارِنا خواتِـمَها، وخير أيامِنا يومَ نلقاك.

اللهم إنا نسألُك موجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، والسلامةَ من كلِّ إثم والغنيمةَ من كلِّ بِر، والفوزَ بالجنةِ، والنجاةَ من النار، ونسألُك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل، ونعوذُ بك من النارِ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل.

اللَّهُمَّ إِنَّا نعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَأَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ.

اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



١١ - خطبة جمعة بعنوان/

[الأدلةُ الواضحات على تحريمِ وخُطورةِ المخدِّرات]

الحمدُ للهِ الذي أحلَّ لعبادِه الطيباتِ بمختلَفِ أشكالِها، وحرَّمَ عليهم الخبائثَ وجميعَ أمثالِها، أحمدُه حمدَ موحِّدٍ مُسلِم، وأرجوه رجاءَ مؤمِّلٍ مسلِّم.

يَـا مَـنْ يُرَجَّـى لِلشَّـدَائِدِ كُلِّهَـا ... يَـا مَـنْ إِلَيْـهِ الْمُشْـتَكَى وَالْمَفْـزَعُ

يَـا مَنْ خَـزَائِنُ رِزْقِـهِ فِـي قَـوْلِ كُـنْ ... امْـنُنْ فَـإِنَّ الْخَيْـرَ عِنْـدَكَ أَجْمَـعُ(١)

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، رغَّبَ في المكارمِ وأسبابِها، وزجر عن المحرماتِ ونهىٰ عن اقترابِها.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، دعا أُمَّتَه إلىٰ المكارمِ والطيبات، وحذَّرَهم من الرذائلِ والمنكرات، صلواتُ الله وسلامُه عليه، عدد ما صُليَ عليه، وصلواتُ الله وسلامُه عليه كما يُحِبُّ ربُّنا أن يُصلَّىٰ عليه.

---

(١) البداية والنهاية ط السعادة (١٢/ ٣١٨).

عبادَ الله: أوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ والحرصِ علىٰ أداءِ الصلواتِ في أوقاتِها، وحثِّ الأهلِ والأولادِ علىٰ ذلك، براءةً للذمةِ وتنفيذًا للمُهمّةِ التي جعلها علىٰ عاتقِنا وأوكلها إلينا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾[١].

أما بعد: فإنَّ مِنْ فضلِ الله تعالىٰ علىٰ بني آدمَ أنْ رفعَ الإنسانَ وفضَّله علىٰ كثيرٍ من خلقِه، بأنْ أنعمَ عليه بالعقلِ ليكونَ مسئولًا عن تأديةِ التكاليفِ الشرعيةِ التي فرَضَها عليه، وأكرمَ الله شأن العقلِ وشرَّفَه، وجعلَ حفظَه من الضروراتِ الخمسِ التي اتفقتْ علىٰ المحافظةِ عليها جميعُ الشرائعِ السماوية.

لذلك فقد حرَّم اللهُ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ كلَّ ما يُضعفُ العقلَ ويُذهبُه، أو يعطِّلُ أداءه ويُعطِبُه.

ألا وإنَّ المخدِّراتِ بمختلفِ أشكالِها وأنواعِها محرمةٌ شرعًا لتأثيرِها المباشرِ علىٰ العقلِ، فهي تُعطِّلُه وتذهب به[٢].

---

(١) [طه: ١٣٢].

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة» (٢٥/ ٢٨٤ بترقيم الشاملة آليا).

والمحافظةُ على العَقْل، وعلى الاتزان الأخلاقي، وعلى السُّمُوِّ الروحي، من أهداف الإسلام وأغراضه الجوهريَّة.

عبادَ الله: إنَّ المُخدِّراتِ ظهَرتْ في البيئةِ الإسلاميَّةِ في القرنِ السابعِ الهجريِّ مع ظهورِ دولةِ التَّتار، وبمجرَّدِ أنْ ظهرتْ أجمعَ عُلماءُ المسلمين على تحريمِها؛ مُستَنِدِين إلى أصولٍ عامَّةٍ من قواعدِ التشريعِ الإسلامي.

وإنَّ مِنْ قواعد التشريع الإسلامي؛ أنَّ ما أفسد العَقْل يحرمُ تناوله، مأكولاً كان أو مشروباً أو مشموماً.

وأدلة تحريمها كثيرة، وهاكم بعضَ ما ذكره العلماء من الأدلة على تحريمها:

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[1].

(١) [الأعراف: ١٥٧].

فكلُّ طيّبٍ مباحٌ، وكلُّ خبيثٍ مُحرمٌ، والمخدراتُ بمختلفِ أنواعِها خبيثةٌ من أشدِّ الخبائثِ وأعظمِها ضررًا، فيكونُ تحريمُها منصوصًا عليه في هذه الآية.

الدليل الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾[١].

ومعلومٌ أنَّ مُتعاطي المخدراتِ يفقِدُ وعيَه ويتصرَّفُ تصرفاتٍ طائشةً تُثيرُ الشقاقَ والخلافَ والعداوةَ والبغضاءَ، ويكونُ في غفلةٍ عن الصلاةِ وسائرِ التكاليف أثناء فقدِه للوعي؛ وهذا مما يدلُّ علىٰ تحريمِ المخدرات.

قال الذهبي في معرض حديثِه عن الحشيشةِ: «وبكل حالٍ فهي داخلةٌ فيما حرَّم اللهُ ورسولُه من الخمر المُسكرِ لفظًا ومعنىٰ»[٢].

---

(١) [المائدة: ٩٠-٩١].

(٢) الكبائر (ص/ ٩٧) ط بيروت ١٩٨٥م.

الـدليل الثالـث: مـا رواه أبـو داود في سـننه: أنَّ رسـولَ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أسكَر كثيرُه فقليلُه حرامٌ**»(١).

فقد حرَّم رسولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ كلَّ مُسكِرٍ قليلًا كان أو كثيرًا وهو بعمومِه يتناولُ المخدراتِ، لأنَّها مسكرةٌ علىٰ ما ذكرَهُ أكثرُ المحقّقين من علماءِ الدينِ والطب.

هذا، وقد اعتبرَ النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلَّ مادةٍ مسكرةٍ خمرًا، سواء سُمِّيتْ بذلك في لغةِ العربِ أو لم تسمَّ به، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ، ومَن شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنْيا فَماتَ وهو يُدْمِنُها لَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْها في الآخِرَةِ**»(٢).

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومذهبُ جمهورِ المسلمين من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسانٍ وسائر العلماءِ أنَّ كلَّ مسكرٍ خمرٌ، وكلَّ خمرٍ حرامٌ، وما أسكرَ كثيرُه فقليلُه حرام»(٣).

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٨١) والترمذي (١٨٦٥) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٣٧٥). عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٢٠٠٣) وأبو داود جـ٤/ ٨٥، ٨٦ كتاب الأشربة حديث رقم ٣٦٧٩). عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٣٤/ ١٨٦).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأحاديث في هذا الباب كثيرة مستفيضة، جَمعَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما أوتيَ من جوامعِ الكَلِمِ كلَّ ما غطَّىٰ العقل وما أسكرَ ولم يفرِّقْ بين نوعٍ ونوع، ولا تأثيرَ لكونِه مأكولًا أو مشروبًا .. وقد حدَثَتْ أشربةٌ كثيرةٌ بعد النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلُّها داخلةٌ في الكَـــلِمِ الجوامعِ من الكتابِ والسنة»[(١)].

الدليل الرابع: ما رُوي عن أمِّ سلمةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «نهىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ»[(٢)]، والمُفَتِّر: هو كُلُّ ما يورِثُ الفُتور والخَدَر في الأعضاءِ والأطرافِ.

فهذا الحديثُ صريحٌ في الدِّلالةِ علىٰ تحريمِ المخدِّراتِ، ذلك أنَّ المخدراتِ إما أن تكونَ مُسكِرَةً أو مفَــتِّرةً أو جامعةً بين الأمرين، وعلىٰ جميعِ هذه الاحتمالاتِ فإنَّ الحديثَ نصٌّ في النهي عنها، والنهيُ يقتضي التحريم.

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص ٩١، ٩٢، ٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٨٦)، وأحمد (٢٦٦٣٤) بـاختلاف يسير. وحسـنه ابـن حجـر في فـتح الباري (١٠/ ٤٧)، وصححه ابن باز كما في مجموع فتاوىٰ ابن باز (٥٩/ ٢٣).

والنهيُ عن المُسْكِرِ والمُفَتِّرِ إنَّما هو نهيٌ عن كُلِّ ما يُحْدِثُ تغييراً في الاتِّزان العَقْلي علىٰ وجهِ العموم، ومن أجلِ ما في المُخدِّرات من مفاسدَ، قال الإمام ابن تيمية عنها: « إنَّ فيها من المفاسدِ ما ليس في الخَمْرِ، فهي أَوْلَىٰ بالتحريم »[١].

أمَّا ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنَّه يُسمِّي المُخدِّراتِ باللُّقْمَة الملعونة، ويقول عنها: « إنَّها لُقْمَة الفِسْق والفُجورِ التي تُحرِّك القَلْب الساكنَ إلىٰ أخبثِ الأماكن »[٢].

الدليل الخامس: لا يشُكُّ شاكٌّ ولا يرتابُ مرتابٌ في أنَّ تعاطي هذه الموادِّ حرامٌ، لأنها تؤدي إلىٰ مضارَّ ومفاسدَ كثيرةٍ فهي تُفسِدُ العقلَ وتفتِكُ بالبدنِ، وتصيبُ متعاطيها بالتبلدِ وعدمِ الغيرةِ، وتصدُّه عن ذكرِ اللهِ وعن الصلاةِ وتمنعُه من أداءِ الواجباتِ الشرعيةِ؛ من صيامٍ وحجٍّ وزكاةٍ .. إلخ.

---

(١) فتاوىٰ عبد الحليم محمود (٢/ ٢٢٦ - ٢٢٧)].

(٢) المصدر السابق.

وفي ذلك اعتداءٌ علىٰ الضروراتِ الخمسِ: الدينِ، والنفسِ، والعرضِ، والمالِ، والعقلِ، إلىٰ غير ذلك من المفاسدِ والمضار[(١)].

والمُخَدِّراتُ لها أضرارٌ صحِّيَّة، وعَقْليَّة، وروحيَّة، وأدبيَّة، واقتصاديَّة، واجتماعيَّة، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»[(٢)].

ولذلك تَحرُمُ المُخَدِّرات، بقاعدةِ دَفْع الشَّرِّ وَسَدِّ ذَرائِع الفَسادِ، كما أنَّ المُخَدِّراتِ تقتلُ حوافزَ العملِ وتُغْري بالكَسَل.

الدليل السادس: أنه لا يحلُّ لمسلمٍ أن يتناولَ من الأطعمةِ أو الأشربةِ شيئًا يقتلُه بسرعةٍ أو ببطء - كالسمِّ بأنواعِه - أو يضرُّه ويؤذيه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾[(٣)].

---

(١) بتصرف من المخدرات والعقاقير المخدرة (ص/ ٢٤٦).

(٢) موطأ مالك (٣١) ومسند أحمد (٢٨٦٥) وسنن ابن ماجه (٢٣٤٠) والطبراني في الكبير (١٣٨٧) وسنن الدار قطني (٣٠٧٩) وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (١٦) وشعيب الأرناؤوط في تخريج المسند (٢٨٦٥). عن عائشة وابن عباس وعبادة بن الصامت وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) [النساء: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ (١).

والقاعدةُ الشرعيةُ المتقررةُ في الشريعةِ الإسلامية: أنَّه لا ضررَ ولا ضرار.

وقد أثبتتِ التحاليلُ الطبيةُ والتجاربُ العلميةُ أنَّ المخدراتِ بأنواعِها مصدرٌ من مصادرِ العللِ والأمراضِ العقليةِ والنفسيةِ والاجتماعيةِ المنتشرةِ في أنحاء العالم.

الدليل السابع: أنه فضلًا عما تُحدِثُه المخدراتُ والعقاقيرُ النفسيةُ من آثارٍ مدمِّرةٍ للصِّحةِ وفتورٍ في الجسد؛ فإنَّ ما يُنفَقُ من المالِ علىٰ شرائها يُعتبرُ إضاعةً له فيما لا ينفعُ في الدينِ أو الدنيا. وقد دلتِ الآياتُ القرآنيةُ العديدةُ والأحاديثُ المستفيضةُ علىٰ مشروعيةِ استعمالِ المالِ في الأمورِ النافعةِ في الدينِ والدنيا وتجنُّبِ استعمالِه في الأمور الضارة، وذلك أنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ المالَ قِوامًا للعبادِ، به تقومُ مصالحُهم الخاصَّةُ والعامَّة الدينيةُ والدنيوية، فهو ضرورةٌ في حياة الإنسان، وأمانةٌ بيد من يحوزُه،

---

(١) [البقرة: ١٩٥].

فمن تناوله من حِلِّه ووضعه في حقِّه واستعانَ به علىٰ ما خُلق له من القيامِ بعبوديةِ اللهِ وإخراجِه في الطُرقِ التي تنفعُ العبدَ ويبقىٰ له ثوابُها وخيرُها؛ فقد أفلحَ ونجح، ومن لم يبالِ من أين اكتسَبه وصرفِه في غير ما أباح الله وأذِنَ فيه، وتمادىٰ بسببِه في الظلمِ والبغيِّ والعُدوانِ، وأطاع نفسَه وهواه والشيطان، فقد تعِسَ وضلَّ وباء بالخسران، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾(١).

وعنِ المغيرةَ بنِ شعبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قيلَ وَقالَ، وإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»(٢). وأيُّ إضاعةٍ للمالِ أسوأُ مِنْ إضاعتِه في أمِّ الخبائثِ ومشتقاتِها؟ أعاذنا الله وإياكم منها.

الدليل الثامن: أنَّ المخدراتِ والعقاقيرَ النفسيةَ وغيرَها من الموبقاتِ تتوافرُ فيها كلُّ أسبابِ التحريمِ الشرعي، فهي مفسدةٌ

(١) [الأعراف: ٣١].

(٢) رواه البخاري (٥٩٧٥) ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

للصحة مضيعةٌ للمال، وكذلك فإنها تُهدِّدُ العلاقاتِ الاجتماعيةِ وتُخلُّ بالنظُمِ المرعيةِ والأمنِ العام، لأنَّ كلَّ مَنْ يُقبِلُ على المخدراتِ وقد حظرتَها الدولةُ وحرَّمتها يكون خارجًا عن الطاعة الواجبةِ لولي الأمر مما تصلح به الأحوالُ وتستقيمُ به أمورُ الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (١).

هذا وإنَّ المُخَدِّراتِ تُذْهِبُ بنَخْوَةِ الرِّجالِ، وبالمعاني الفاضلةِ في الإنسانِ، وتجعلُه غيرَ وَفيٍّ إذا عاهد، وغير أمينٍ إذا اؤتُمِنَ، وغير صادقٍ إذا حَدَّثَ، وتُميتُ فيه الشعورَ بالمسؤوليَّات والكرامة(٢).

فيجبُ على من ابتُلي بالوقوعِ في تناول شيءٍ من هذه المسكراتِ والمخدراتِ أنْ يُقلعَ عنها وأن يَعزِمَ على أنْ لا يعودَ إليها أبدًا، وإلا فإنه متوعَّدٌ بعذابِ اللهِ وعقوبتِه؛ قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «مَنْ شَرِبَ

---

(١) [النساء: ٥٩].

(٢) موسوعة صناعة الحلال (٣/ ٣٦).

الخَمْرَ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيهِ، فَإِنْ عَادَ وَشَرِبَهَا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ وَشَرِبَهَا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيهِ، وَإِنْ عَادَ فَشَرِبَهَا فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ؛ وَهِي عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»[١].

وعلينا أنْ نُدركَ أنَّ المخدراتِ كالخمرِ وأشنع، حيثُ إنَّ كليهما يخامرُ العقلَ ويحجبُه، وأركانُ القياس علىٰ المخدراتِ تتماثلُ مع ما ينطرحُ علىٰ الخمر.

فالمخدراتُ كالخمرِ في الإسكارِ وحجبِ العقلِ والذهابِ به، تلك هي عِلَّةُ تحريمِ الخمر، فتكونُ المخدراتُ بجميعِ أنواعِها حرامًا لذلك، فالنصوص التي تُحرِّمُ كلَّ مسكرٍ ومُفَتِّرٍ تنطرحُ علىٰ المخدراتِ مثلما تنطرحُ علىٰ أحكامِ المسكرات[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٠٢) واللفظ له، والبزار (٤٠٧٤)، والطبراني كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٥/ ٧١) وحسنه لغيره الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٣٥٧٠) وصححه لغيره شعيب في تخريج المسند (21502). عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية (٣٢/ ٢٣٢).

هذا وقد اتَّفقَ العلماءُ في مختَلَفِ المذاهبِ الإسلاميةِ علىٰ حُرمةِ تناولِ القَدرِ المؤثِّرِ علىٰ العقلِ من الموادِّ والعقاقيرِ المخدرةِ، فيحرمُ تعاطيها بأيِّ وجهٍ من الوجوهِ، سواء كان بطريقِ الأكلِ أو الشرابِ أو التدخينِ أو السُّعوطِ أو الحُقَنِ بعد إذابتِها، أو بأيِّ طريقةٍ كان، واعتبر العلماءُ تناولَ ما يؤثِّر علىٰ العقلِ كبيرةً من كبائرِ الذنوبِ يستحقُّ مرتكبُها المعاقبةَ في الدنيا ويشملُه الوعيدُ في الآخرةِ[١].

وبهذا يتقررُ أنَّ المخدراتِ والمفتِّراتِ والعقاقيرِ النفسيةِ والدخانِ وما يلحقُ بها خبائثُ محرمةٌ بالأدلةِ النقليةِ والعقليةِ الصريحةِ الواضحةِ، تتوافرُ فيها كلُّ أسبابِ التحريمِ الشرعيِّ، وفيها من المفاسدِ والمضارِّ الدينيةِ والدنيويةِ ما يجعل بعضًا منها كافيًا في تحريمِها والزجرِ عنها وعقابِ متعاطيها[٢].

عبادَ الله: يجبُ علىٰ جميعِ المسلمين التعاونُ علىٰ الحدِّ من انتشارِ المُنكَراتِ، ويَحرمُ الإسهامُ بأيِّ عملٍ يؤدي إلىٰ تسهيلِ المحرماتِ أو المخدراتِ، ولقد جاء عن النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٣٢/ ٢٢٨).

(٢) المصدر السابق(٣٢/ ٢٤٠).

الزجرُ الشديدُ عن التساهلِ في تيسيرِ الوصولِ إلىٰ مثلِ هذه المحرمات، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الخَمْرِ عَشَرَةً: «عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالمُشْتَرِي لَهَا، وَالمُشْتَرَاةُ لَهُ»(١).

والقاعدةُ العامةُ عند علماءِ المسلمين سَلَفًا وخَلَفًا أنَّ كلَّ ما حَرَّمَ اللهُ تناولَه حَرُمَ بيعُه، ويدلُّ علىٰ صحتِها قولُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ إذا حرَّمَ علىٰ قومٍ أكلَ شيءٍ حرَّمَ ثَمَنَهُ»(٢).

وعن مُحَمَّدِ بن سِيرِينَ، أَنَّ قَيِّمًا كان لسَعْدِ بن أبي وَقّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في أرْضٍ له، فأخْبَرَه عن عِنَبٍ أَنَّه لا يَصْلُحُ زَبِيبًا، ولا يَصْلُحُ أن يُباعَ إلّا لمن يَعْصِرُه، فأمَرَ بقَلْعِه، وقال: «بِئْسَ الشَّيخُ أنا إنْ بِعْتُ الخَمْرَ»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٢٩٥) واللفظ له وابن ماجه (٣٣٨١) والطبراني في الأوسط (١٣٥٥) والبيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠٧٧٨) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٨٨)، وأحمد (٢٢٢١)، وابن حبان (٤٩٣٨) والضياء في المختارة (٤٩٤). وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٣٥٩). من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) المغني لابن قدامة (٦/ ٣١٨ ت التركي).



وأضرارُ المخدراتِ كثيرةٌ، كتَبَ ابنُ تيميةَ عن بعضِها فقال: كفىٰ بالرجلِ شرًّا أنها تصدُّه عن ذكرِ اللهِ وعن الصلاةِ إذا سكرَ منها، وقليلُها وإنْ لم يُسكرْ فهو بمنزلةِ قليلِ الخمر - أي: حرام - ثم إنها تُورثُ من مهانةِ آكلِها ودناءةِ نفسِه وانفتاحِ شهوتِه ما لا يورثُه الخمر .. فهي بالتحريمِ أولىٰ من الخمرِ، كما ذُكرَ أنها تورِثُ قِلَّةَ الغيرةِ وزوالَ الحميةِ، وتُفسدُ الأمزجةَ حتىٰ جعلتْ خلقًا كثيراً مجانين، ومن لم يُجنَّ منها فقد أعطتْه نقصَ العقلِ، ولو صحا منها فإنه لابدَّ أنْ يكونَ في عقلِه خبَلٌ. كما يسوقُ ابنُ حجر الهيثمي بعضَ هذه الأضرارِ، التي ذكرَ أنها تبلغُ مئةً وعشرينَ مفسدةً دينيةً ودنيويةً، منها: تعرُّضُ البدنِ لحدوثِ الأمراضِ، وتَصَدُّعِ الرأسِ، وتُورثُ النسيانَ، وتورثُ اختلالَ العقلِ وفسادَه وتُذهبُ الحياءَ والغيرةَ، وفيها إتلافٌ للأموالِ وسببٌ للوقوعِ في المحرماتِ، وتورثُ الرعشةَ، ولها آثارٌ ضارةٌ علىٰ الكبد ... إلخ ما ذكره[١].

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٥/ ٣٣٦ بترقيم الشاملة آليا).

عبادَ الله: إنَّ السابقينَ كانوا يُدركون أنَّ تناولَ ما يضرُّ بالعقلِ سببٌ لكثيرٍ من المصائبِ والآفات، ومؤدٍّ للوقوعِ في المخالفاتِ والمحرَّمات، لأنَّ العقلَ معيارُ التمييز بين النافعِ والضارِّ، والحَسَنِ والقَبيحِ، فمن أبطلَ هذا المعيار، وأفسد هذا الميزان؛ وقعَ في مخالفاتٍ كثيرةٍ، وارتكبَ محرَّماتٍ خطيرةً وكبيرة.

قال الضحاكُ بنُ مُزاحمٍ لرجلٍ: « ما تصنعُ بشُربِ النبيذ؟ قال: يهضمُ طعامي. قال: أما إنه يهضمُ من دينِك وعقلِك أكثر »[١].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « لو كان العقلُ يُشترىٰ لتغالَىٰ الناسُ في ثمنِه، فالعجبُ ممن يشتري بمالِه ما يفسِدُه »[٢].

وعَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهُ، أنه قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثَ، وَإِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعِبَادِ كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ سُوءٍ، فَأَمَرَتْ جَارِيَتَهَا فَأَدْخَلَتْهُ الْمَنْزِلَ فَأَغْلَقَتِ الْبَابَ وَعِنْدَهَا بَاطِيَةٌ مِنْ خَمْرٍ، وَعِنْدَهَا صَبِيٌّ، فَقَالَتْ لَهُ: لَا تُفَارِقْنِي حَتَّىٰ

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف (ص/ ٤٦٨).

(٢) المصدر السابق (ص/ ٤٦٨).



تَشْرَبَ كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ أَوْ تُوَاقِعَنِي أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الصَّبِيَّ، وَإِلَّا صِحْتُ يَعْنِي صَرَخْتُ، وَقُلْتُ: دَخَلَ عَلَيَّ فِي بَيْتِي فَمَنِ الَّذِي يُصَدِّقُكَ؟

فَضَعُفَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ. وَقَالَ: أَمَّا الْفَاحِشَةُ فَلَا آتِيهَا، وَأَمَّا النَّفْسُ فَلَا أَقْتُلُهَا، فَشَرِبَ كَأْسًا مِنَ الْخَمْرِ، فَقَالَ زِيدِينِي. فَزَادَتْهُ. فَوَاللهِ مَا بَرِحَ حَتَّىٰ وَاقَعَ الْمَرْأَةَ وَقَتَلَ الصَّبِيَّ. قَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهَا فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ »(١).

أرأيتم - يا عبادَ الله - كيف تدعو هذه الفاحشةُ إلىٰ غيرِها من المنكراتِ، وإنَّ المخدراتِ كالخمرِ في الأضرارِ، بل إنها أشدُّ ضررًا وأكثرُ خطرًا.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذِّكْرِ الحكيم، أقولُ ما سمعتُم وأستغفرُ اللهَ لي ولكم وللمؤمنين.



(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص/ ١٤٦)، وذكره ابن تيمية كما في مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٤١٧).

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أيُّها المسلمون: أمَّا سُبلُ الوقايةِ من هذه الأوبئةِ الفتاكةِ فلابدَّ أولًا: مِنْ صِدْقِ العزيمةِ - بالنسبة للفردِ المُبتلىٰ - ولابدَّ من تعاونِ فئاتِ المجتمعِ علىٰ محاربةِ هذا الداءِ، وينبغي التعاونُ مع الجهاتِ المسؤولةِ في إنجاح مهمَّتها، فالداءُ يتجاوز الفردَ إلىٰ المجتمعِ إذا لم يُسارَعْ بالدواءِ.

ولابد من تكثيفِ التوعيةِ بأضرارِ المُسْكِراتِ والمخدِّراتِ، والتركيزِ علىٰ ذلك في المناهجِ الدراسيةِ، وفي وسائلِ الإعلامِ المختلفة.

ولابدَّ من تأكيدِ دورِ الأسرةِ في رعايةِ أبنائها والحفاظِ عليهم، وملءِ وقتِ فراغِهِم بما يفيدُهم ويفيدُ مجتمعَهُم وأمَّتَهُم، ولابد

من رعايتِهم وحفظِهم عن قرناءِ السوء، وأبالِسةِ الإنس، ووقايتِهم من وسائلِ الدمارِ الخُلُقي بكافةِ أنواعِها (المرئي منها، والمقروء، والمسموع).

أيها المسلمون: إنَّ دورَ الآباءِ والأمهاتِ هوَ الدورُ الأهمُّ في مكافحةِ هذه الآفةِ الخطيرة، والمُعضلةِ المُستطيرةِ؛ وذلك بحفظِ أولادِهم عن أصدقاءِ السوءِ، ومتابعتِهم واحتوائِهم، وأنْ لا يتركوا لهم الحبلَ علىٰ الغارِب، ولْيحذرِ الآباءُ من فراغِ الأبناء، فإنَّ الفراغَ سببٌ لشرورٍ كثيرةٍ، وبسببِ الفراغ يقعُ كثيرٌ من الأبناء في شَرَكِ الأشرار، وفي مصائبَ وأضرار، تتفاقمُ معها المشاكلُ وتَكَثُّــرُ الأخطار.

هذا وإنَّ التدخين سببٌ للوقوع فيما هو أضرُّ وأخطر من مجرد التدخين، فيا أيها الشابُّ المبارك - إنَّ مشكلةَ التدخينِ فوقَ ما فيها من أضرارٍ لا تخفىٰ فهي سبيلٌ لاختيارِ رفقةِ السوء، والوحشةِ من رفقةِ أهلِ الخير.. وتلك سيئةٌ كبرىٰ من مساوئها.. ومن مساوئها أنها داعيةٌ للكسلِ عن الطاعات، وربما كانت مقدمةً

لأنواعٍ من المُحرَّمات، وتلك سيئةٌ أخرىٰ، فإيّاك أيُّها الشهمُ وإياها، وبادرْ أيها المبتلىٰ بها بالإقلاعِ عنها قبل أن يستفحِلَ فيك خطرُها، وتعظُمَ آثارُها.

وأما رجالُ مكافحةِ المخدرات: فإنهم إنْ أخلصوا نواياهم وصدَقُوا في أداءِ مهامِّهم فهم علىٰ ثَغرٍ عظيم، وفي عملٍ جليلٍ، يُشكرَون علىٰ عملِهم ويؤجرون، ولقد أفتىٰ بعضُ العلماء بأنهم في جِهادٍ، وإنْ حصلَ لأحدِهم ضررٌ أو موتٌ، وهو في مهمتِه مخلصًا نيتَه فيُرجىٰ له أن يكون شهيدًا، كما جاء في فتاوىٰ بعضِ علمائنا: لا ريبَ أنَّ مكافحةَ المسكراتِ والمخدراتِ من أعظمِ الجهادِ في سبيل الله.

ومن أهمِّ الواجباتِ: التعاونُ بين أفرادِ المجتمع في مكافحةِ ذلك؛ لأنَّ مكافحتَها في مصلحةِ الجميع؛ ولأنَّ فشوَّها ورواجَها مضرةٌ علىٰ الجميع، ومن قُتلَ في سبيلِ مكافحةِ هذا الشرِّ وهو حسَنُ النيةِ فهو من الشهداءِ، ومن أعانَ علىٰ فضحِ هذه الأوكارِ وبيانِها للمسئولين فهو مأجورٌ، وبذلك يُعتبرُ مجاهدًا في

سبيلِ الحقِّ وفي مصلحةِ المسلمين وحمايةِ مجتمعهِم مما يضرُّ بهم[١].

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[٢].

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْت وَبَارَكْتْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

اللهم إنا نسألك فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحبَّ المساكين، وأن تغفرَ لنا وترحمَنا وتتوبَ علينا، اللهم إنا نسألُك الهُدىٰ والتقىٰ والعفافَ والغنىٰ، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القولَ فيتبعونَ أحسنَه، اللهمَّ أصلحْ شبابنَا وشبابَ المسلمين، واحفظ أبناءنا وبناتِنا يا رب العالمين.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة لابن باز (٤/ ٤١٠).

(٢) [الأحزاب: ٥٦].

اللهم جنِّبْنا منكراتِ الأخلاقِ والأعمالِ والأهواءِ والأدواء، اللهم اغفرْ لنا ولآبائنا وأمهاتِنا وجميعِ المسلمين يا رب العالمين.

اللهم جنِّبنا الفتنَ ما ظهر منها وما بَطَن، اللهم اجعلْ هذا البلدَ آمنًا وسائرَ بلادِ المسلمين.

اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبه أجمعين.



١٢ - خطبة جمعة بعنوان/

[تحذيرُ أهلِ الإيمان من اتباعِ خُطوات الشيطان]

الحمدُ للهِ الذي نهىٰ أهلَ الإيمان، عن اتّباعِ خُطواتِ الشيطان، أحمدُه في جميعِ الأحيان، وأشكرُه علىٰ فضلِهِ والإحسان.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، بيَّنَ عداوةَ الشيطانِ للإنسان، ونهىٰ عن الإثمِ والبغيِ والعُدوان.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه سيّدُ البشر، والشفيعُ المُشفَّعُ في المحشر، الناهضُ بأعباءِ الرسالةِ والتبليغِ الأعصم، المُوفِّي بشرفِ السعايةِ في الصلاحِ الأعظم، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ما تعاقبَ الملَوان، وتتابع القمَران.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ والمحافظةِ علىٰ الصلواتِ الخمسِ في أوقاتِها وأماكِنها وبهيئتِها المشروعةِ.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[(١)].

من يُطعِ اللهَ ورسولَه فقد رشَدَ، ومن يعصِ اللهَ ورسولَه فقد غوىٰ ولا يضرُّ إلَّا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئًا، و﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾[(٢)].

أيها المسلمون: لقد حذَّرنا ربُّنا من اتباعِ خُطوات الشيطانِ في عدةِ مواضعَ من القرآن الكريم:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾[(٣)]، فَكَأَنَّهُ قِيلَ لِمَنْ أُبِيحَ لَهُ الْأَكْلُ عَلَىٰ الْوَصْفِ الْمَذْكُورِ: احْذَرْ أَنْ تَتَعَدَّاهُ إِلَىٰ مَا يَدْعُوكَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ. وَزَجْرُ الْمُكَلَّفِ بِهَذَا الْكَلَامِ عَنْ تَخَطِّي الْحَلَالِ إِلَىٰ الشُّبَهِ كَمَا زَجَرَهُ عَنْ تَخَطِّيهِ إِلَىٰ الْحَرَامِ، لِأَنَّ

---

(١) [الحشر: ١٨].

(٢) [الأنعام: ١٣٤].

(٣) [البقرة: ١٦٨].

الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُلْقِي إِلَىٰ الْمَرْءِ مَا يَجْرِي مَجْرَىٰ الشُّبْهَةِ فَيُزَيِّنُ بِذَلِكَ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، فَزَجَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ بَيَّنَ الْعِلَّةَ فِي هَذَا التَّحْذِيرِ، وهو كونُه عدوًّا مُبِينًا، أَيْ: مُتَظَاهِرٌ بِالْعَدَاوَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ الْتَزَمَ أُمُورًا سَبْعَةً فِي الْعَدَاوَةِ؛ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾[(١)]، وَثَلَاثَةٌ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[(٢)]، فَلَمَّا الْتَزَمَ الشَّيْطَانُ هَذِهِ الْأُمُورَ كَانَ عَدُوًّا مُتَظَاهِرًا بِالْعَدَاوَةِ فَلِهَذَا وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ[(٣)].

---

(١) [النساء: ١١٩].

(٢) الأعراف: ١٦-١٧].

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥/ ١٨٦).

وقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾[٢].

وخطواتُ الشيطان هي نزغاتُه وما يدعو إليه من كفرٍ أو بدعةٍ أو معصيةٍ لله، قال المفسرون: كُلُّ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ فَهِيَ مِنْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ[٣].

وكلُّ ما عَدا السننِ والشرائعِ من البدعِ والمعاصي فهي من خُطواتِ الشيطان[٤].

---

(١) [البقرة: ٢٠٨].

(٢) [سورة الأنعام: ١٤٢].

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٨١). من قول قتادة والسُّدي.

(٤) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٣٧).

فكلُّ شيءٍ حرَّمَه اللهُ فهو من خُطُواتِ الشيطانِ سواءٌ كان عن استكبارٍ، أو تكذيبٍ، أو استهزاء، أو غيرِ ذلك؛ لأنه يأمرُ به، وينادي به، ويدعو إليه(١).

وبيَّن تعالىٰ أنَّ اتباعَ خطواتِ الشيطانِ تجرُّ إلىٰ المعاصي والمنكرات، والفواحشِ والسيئات، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾(٢).

ومَن تأمَّل في هذه الآيةِ يرىٰ أنَّ اللهَ نهىٰ عن اتباعِ خُطواتِ الشيطان ثم بيَّنَ أنه يدعو إلىٰ الفحشاءِ والمُنكَرِ، وفي الآياتِ السابقةِ نهىٰ عن اتباعِ خطُواتِ الشيطانِ بعد تحليلِ الطيباتِ لبني آدم، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الفمَ والفرجَ مِنْ أعظمِ مداخلِ الشيطانِ علىٰ الإنسانِ، ولذلك سُئِلَ رسولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عنْ أكثَرِ ما يُدْخِل الناسَ النارَ؟ قال: «**الفَمُ والفَرْجُ**»(٣).

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٢٣٤).

(٢) [سورة النور: ٢١].

(٣) رواه أحمد (٩٠٩٦) وابن ماجه (٤٢٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٢٣).

ولأهميةِ إغلاقِ هذا المدخلِ علىٰ الشيطانِ لإغواء الإنسان؛ فقد بشَّرَ النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المُحافظَ عليهما بالجنةِ بل وضمِن له بها، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ له الجنة»(١). وقوله: «لحييه» هما العظمان في جانبي الفم، والمرادُ بما بينهما اللسانُ، وبما «بين رِجليه»: الفرجُ. ولا شكَّ أنَّ أعظمَ البلاءِ علىٰ الإنسانِ في الدنيا اللسانُ والفرجُ، فمن وُقِي شرَّهما فقد وُقيَ أعظمَ الشر. نسألُ الله الحماية(٢).

وقد تكرَّرَ النهيُ عن اتباعِ خطواتِ الشيطانِ، ولم يقلْ: لا تتبعوا الشيطانَ مباشرةً، ولعلَّ ذلك لأمرين:

الأول: من جهةِ العبد؛ فمن المُستبْعَدِ أنْ يتَّبعَ المُسلمُ الشيطانَ وهو يعلمُ عداوتَه له، فحذَّر اللهُ العبدَ مما لا ينتبهُ له، وهو خُطواتُ الشيطان.

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٩).

(٢) حاشية صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٨٥).

الثاني: من جهةِ الشيطان، وهو أنه يتدرَّجُ مع المؤمنِ في الإغواء، فيزيّنُ له التوسُّعَ في المباحات، ثم التساهلَ في المتشابِهاتِ، فغشيانَ محقِّراتِ الذنوب، إلىٰ أنْ يصلَ به إلىٰ الحرامِ المحضِ، بل إلىٰ الكبائرِ والعياذُ بالله تعالىٰ.

عباد الله: لقد كان إنذارُ اللهِ للعبادِ من اتباعِ خطوات الشيطان، وتحذيرُه لهم من السيرِ وراءَه واضحًا بيِّنًا؛ لأنَّ الشيطانَ عدوٌّ للإنسان، يُودِي بمُتَّبعِيه المهالكَ ويوردُهم النارَ وبئس القرار، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾[1].

وقد ختمَ ربُّنا سبحانَه بعضَ آياتِ النهي عن اتباعِ خُطواتِ الشيطانِ ببيانِ عداوتِه الواضحةِ، فهو الذي وسوسَ لأبينا آدمَ وحلفَ له أنَّ قصدَه المُناصحة، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾[2]؛ فبين اللهُ أنَّ الشيطانَ عدوٌّ مبينٌ، حتىٰ يأخذَ الإنسانُ

---

(١) [فاطر: ٦].

(٢) [الأعراف: ٢١].

حِذْرَه منه في كلِّ وقتٍ وحين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [(١)].

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَخْبَرَ تَعَالَىٰ بِأَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ، وَخَبَرُهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ. فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَأْخُذَ حَذَرَهُ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ الَّذِي قَدْ أَبَانَ عَدَاوَتَهُ مِنْ زَمَنِ آدَمَ، وَبَذَلَ نَفْسَهُ وَعُمْرَهُ فِي إِفْسَادِ أَحْوَالِ بَنِي آدَمَ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْحَذَرِ مِنْهُ فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾[(٢)].

وقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [(٣)].

وَقَالَ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾[(٤)].

وَقَالَ: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [(١)].

---

(١) [البقرة: ٢٠٨].

(٢) [البقرة: ٢٠٨].

(٣) [البقرة: ١٦٩].

(٤) [البقرة: ٢٦٨].



وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[(٢)].

وَقَالَ عن الشيطان: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[(٣)].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[(٤)].

وَهَذَا غَايَةٌ فِي التَّحْذِيرِ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ»[(٥)].

والشيطانُ في عداوتِه للإنسانِ وفي سبيلِ إغوائه يسلكُ كلَّ طريقٍ للإغواء، ويأتي الإنسانَ مِنْ جهاتِه الأربع: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[(٦)].

= (١) [النساء: ٦٠].

(٢) [المائدة: ٩١].

(٣) [القصص: ١٥].

(٤) [فاطر: ٦].

(٥) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٠٩).

(٦) [الأعراف: ١٦-١٧].

ولذا كان واجبًا على الإنسانِ أنْ يجعلَ الشيطانَ عدوًّا له، فلا يتبعْ خُطواتِه، ولا يستسلمْ لوساوسِه وخَطَرَاتِه؛ لئلا يقودَه إلى المحرماتِ، وقد أمرَ اللهَ باتخاذِ الشيطانِ عدوًّا حتى لا يغفُلَ المسلمُ عن محاربتِه والتصدِّي لوساوسِه، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾[1].

والشيطانُ حريصٌ أشدَّ الحرصِ، باذلٌ كلَّ الجُهدِ والوُسعِ في إغواءِ الإنسان وصدِّه عن طاعةِ الرحمن، وهو قاعدٌ لابنِ آدمَ بطُرُقِهِ صَدًّا وإغواءً وصَرفًا عن طاعةِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ»، قَالَ: «فَيَخْرُجُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ عَقَّ وَالِدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَبَرَّهُمَا، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ أَشْرَكَ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هذا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ

---

(١) [فاطر: ٦].

زَنَىٰ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ قَتَلَ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ»(١).

إنها منافسةٌ يُجريها الشيطانُ إذا أصبحَ كلَّ يومٍ بينَ جنودِه وأعوانِه لإغواءِ بني الإنسان، وصدِّهم عن طاعةِ الرحمن، وإيقاعِهم في شَرَكِ الذنوب ووحل العصيان؛ بل ونقْلِهم إلىٰ الإشراكِ باللهِ والكفرِ بالعظيمِ المنَّان، وقد بيَّن اللهُ أنَّ الشيطانَ أقسمَ بعزةِ اللهِ علىٰ سعيِه في إغواءِ كلِّ إنسان: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾(٢)، وكذلك أقسمَ ليستولِينَّ علىٰ بني آدم ولَيَبذُلَنَّ جُهدَه في إغوائهم حتىٰ كأنه يربطُ كلَّ واحدٍ في حَنكِهِ، والحَنَكُ موضِعُ الرباطِ من الأنعامِ، قال تعالىٰ عن إبليسَ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾(٣)

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٠٢٧) وابن حبان في صحيحه (٤٦٢٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٤٩).

(٢) [ص: ٨٢-٨٣].

(٣) [الإسراء: ٦٢].

ومعنى ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ لأستولينَّ عليهم استيلاءً قويًّا، من قولِهم: حَنَكَ الدابةَ واحتنكها إذا جعلَ في حَنكِها الأسفلِ حبلًا يقودُها به(١). وكأنه يقولُ: لأقتادَنَّهم كَيفَ شِئْتُ.

فالشيطانُ -أيها الناس- ينصِبُ بين يدي الإنسانِ عقباتٍ يريدُ أنْ يوقِعَه فيها مهتمًّا بأعظمِها عندَه ثمَّ التي تليها، وأَولُّ تلك العقباتِ الإشراكُ بالله والكفرُ به -سبحانه-، والسخريةُ من دينِه، وتكذيبُ أنبيائه ورسلِه، والخروجُ من طاعتِه -جل في علاه-؛ فإنْ لم يتمكنْ من إيقاعِ الإنسانِ في هذه العقَبَةِ نقلَه إلىٰ عقبةِ البدَعِ، إما إلىٰ البدعِ الاعتقاديةِ بأن يعتقدَ ما لم يشرَعْه اللهُ، أو البدعِ العمليةِ بأنْ يتقربَ إلىٰ اللهِ بما لم يأذنْ به، فإنْ لم يتمكنْ من ذلك نقلَه إلىٰ الكبائرِ وعظائمِ الذُّنوبِ، وزيَّنها في عينيه حتىٰ يقعَ فيها ويكونَ من أهلِها، فإنْ لم يتمكنْ نقلَه إلىٰ الصغائرِ، وهكذا عدوُّ اللهِ يتدرجُ بالإنسانِ تنقُّلاً بين هذه العقباتِ إغواءً وصدًّا عن طاعةِ الله جَلَّ وَعَلَا.

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (٨/ ١٠٤).

وهكذا في صدِّه عن الطاعاتِ ومحاولةِ إفسادِ الأعمالِ الصالحةِ؛ فقبلَ العملِ: يحاولُ أن يُقعدَك عنه، ويمنعَك منه، ويزهِّدَك فيه، أو أن يَصرِفَك إلىٰ خيرٍ أقلّ منه. وحتىٰ في أثناءِ العملِ الصالح: يحاولُ الشيطانُ أن يصرَفَ العاملَ عن الإخلاصِ والصدقِ إلىٰ الرياءِ والسمعةِ؛ ليُحبطَ عملَه ويُضيِّعَ أجرَه.

وبعد العملِ: يحاولُ أن يوقعَه في العُجبِ أو يُطلقَ لسانه بالمَنِّ، فيُبطلُ صدقتَه بالمنِّ والأذىٰ. وهذا نهجُ الشيطانِ وعملُه الذي أقسمَ عليه، وتوعَّدَ بني آدم به ما دامتْ أرواحهُم في أجسادِهم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»(١).

عباد الله: وللشيطانِ مدخلانِ علىٰ الإنسان: مَدْخَلُ الشهوةِ، ومَدْخَلُ الشُّبهةِ، ولا يبالي عدوُّ اللهِ بأيِّ الأمرينِ ظفِرَ، فإنْ رأىٰ في

---

(١) أخرجه أحمد (١١٢٣٧) والحاكم في المستدرك وصححه (٧٦٧٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦١٧).

الإنسانِ تدينًا وطاعةً دخل عليه من مدخلِ الشُّبُهاتِ حتىٰ يوقعَه في الغلوِّ في الدِّينِ وممارسةِ البدعِ التي ما أنزل الله بها من سلطانٍ، وإنْ وجدَ في الإنسانِ تفلُّتًا زيَّن له الشهواتِ حتىٰ يوقعَه في حَمْأتِها.

وقد ابتلىٰ اللهُ الإنسانَ بعداوةِ الشيطانِ، وأذيَّتِهِ في أغلبِ الأحيان، فلا يسلمُ إلا أهلُ التقوىٰ والإيمانِ، والتوكلِ والإحسانِ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾(١).

وعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً مِنْ الْعِشَاءِ، ثُمَّ قَامَتْ، فَقَامَ مَعَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ الَّذِي كَانَ عِنْدَ مَسْكَنِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ

---

(١) [الإسراء: ٦٤].

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَىٰ رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» قَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا»(١).

قال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الحديثُ فيه فوائدُ ومنها: الاستعدادُ للتحفُّظِ من مكايدِ الشيطانِ فإنه يجري من الإنسانِ مجرىٰ الدمِ، فيَتَأَهَّبُ الإنسانُ للاحترازِ من وساوسِه وشرِّه، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ». قيل: هو علىٰ ظاهرِه وأنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ له قوةً وقدرةً علىٰ الجري في باطنِ الإنسانِ مجاري دمِه. وقيل: هو علىٰ الاستعارةِ لكثرةِ إغوائه ووسوستِه، فكأنه لا يفارقُ الإنسانَ كما لا يفارِقُه دمُه.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥)، وأبو داود (٢٤٧٠) وابن ماجه (١٧٧٩) واللفظ له.

وقيل: يُلقي وسْوَسَتَه في مسامَّ لطيفةٍ من البدنِ فتصلُ الوسوسةُ إلىٰ القلبِ والله أعلم »[١].

والناسُ مخلوقون علىٰ الفطرةِ السليمةِ - حنفاءَ - ولكنَّ الشياطينَ تتسلطُ علىٰ أكثرِهم وتُغويهم، وتصدُّهم عن دينِ اللهِ وعن اتباعِ شرعه، عَنْ عِيَاضِ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذاتَ يومٍ في خطبته: «أَلا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا»[٢].

وكلَّما عمِلَ المسلمُ عمَلًا صالِحًا قعدَ الشيطانُ في طريقِه ليُغويَه ويُفسدَ عمَلَه، وتأمّلوا هذا الحديثَ العظيمَ الذي يُبيِّنُ سعيَ الشيطانِ لإغواءِ الإنسانِ في كلِّ أعمالِ الخيرِ وتثبيطِهِ عنها، قال

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٤/ ١٥٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ. ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ. ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ: تُجَاهِدُ، فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ؟ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»(١).

وحتى في الصلاةِ فإنَّ الشيطانَ لا يتركُ الإنسانَ، بل يوسوسُ للمصلي ويصرِفُه عن الخشوعِ والإقبالِ على اللهِ بكلِّ الوسائل؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٥٨) والنسائي (٣١٣٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٥٢).
عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ.

«إذا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّىٰ لا يسمعَ الأذانَ، فإذا قُضيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضيَ التثويبُ أقبلَ، حَتَّىٰ يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّىٰ يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّىٰ، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّىٰ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جالس»[١].

وفي هذا دليلٌ علىٰ أنَّ مؤاذاةَ الشيطانِ للمسلمِ مستمرةٌ حتىٰ في الصلاةِ وأوقاتِ العبادةِ، وقد حاولَ الشيطانُ أنْ يُؤذيَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في الصلاةِ، كما في حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي، فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ»، ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ. قَالَ: «إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ

---

(١) رواه البخاري (١١٧٤).



نَارٍ، لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ آخُذَهُ، وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا بِهَا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»(١).

وقد بيَّنَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّ الشيطانَ يأتي الإنسانَ في صلاتِه فيذَكِّرُه حاجةَ كذا وكذا، حتىٰ لا يقرأَ الأذكارَ التي بعد الصلاةِ، ويأتيه عند منامِه فينوِّمُه حتىٰ لا يقولَ الأذكارَ التي قبلَ النومِ(٢).

فالواجبُ علىٰ العبدِ المؤمنِ أنْ يكونَ يَقِظًا عارِفًا بهذا العدوِّ، مستعيذًا بالله منه، آخذًا بأسباب النجاةِ، مُجاهدًا نفسَه علىٰ الفِكاكِ والخلاصِ.

ومَن يجاهدْ نفسَه في طاعةِ الله والبعدِ عن الشيطان الرجيم ينصرْهُ الله جَلَّوَعَلَا ويَكفِه.

---

(١) رواه مسلم (٥٤٢).

(٢) رواه أحمد (٦٩١٠) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٢١٦) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ (١).

نسأل اللهَ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلىٰ، وبأنه السميعُ العليمُ أنْ يُعيذَنا وذرّيّاتِنا من الشيطان الرجيم.

أقولُ هذا القولَ وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه يغفرْ لكم إنه هو الغفور الرحيم.



(١) [آل عمران: ١٠١].

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ عظيمِ الإحسان، واسعِ الفضل والجود والامتنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحدُ المنَّان، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه خيرُ مبعوثٍ إلىٰ الإنسِ والجان، صلىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عبادَ الله - فإنَّ في تقواه خلَفًا من كلِّ شيءٍ، وليس من تقوىٰ الله خلَفٌ. وتقوىٰ اللهِ هي: عملٌ بطاعة الله، علىٰ نورٍ من الله؛ رجاءَ ثوابِ الله، وتركٌ لمعصيةِ الله، علىٰ نورٍ من الله؛ خِيفةَ عذابِ الله.

عباد الله: بعد أنْ بانتْ لنا عداوةُ إبليسَ وشدَّةُ محاربتِه لنا بكلِّ وسيلةٍ، يأتي السؤالُ المُهمُّ: كيف نواجهُ خُطواتِ الشيطان؟

والإجابة: أنَّ ذلك يكونُ بأمورٍ: منها: العلمُ بعظيمِ خطَرِه وشِدةِ ضرَرِه، ومعرفةِ مداخِلِه ومخارجِهِ، ولذلك روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: «عَالِمٌ واحدٌ أَشَدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»(١).

وقال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُٱللَّهُ: « اعلمْ أنَّ أولَ تلبيسِ إبليسَ عَلَىٰ الناسِ صدُّهم عَنِ العلم، لأنَّ العلمَ نورٌ فَإِذَا أطفأَ مصابيحَهُم خبَطَهم فِي الظُّلَمِ كيف شاء »(٢).

ومنها: دوامُ ذكرِ اللهِ؛ فإنّ الذكرَ جُنةٌ تحمي من الشيطان، وحصنٌ لا يستطيعُ اقتحامَه ولا دخولَه، وقد أخبر اللهُ عن الشيطانِ أنه وَسواسٌ خنّاسٌ، فإذا غفَلَ المسلمُ عن الذكرِ أقبلَ الشيطانُ علىٰ قلبِه وتسلَّطَ عليه، فإذا ذكرَ اللهَ خنَسَ الشيطانُ وولىٰ وهرب، وليس شيءٌ أشدَّ علىٰ الشيطانِ من الذكْرِ، وليس شيءٌ أحبَّ إليه من الغفلة، ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾(٣).

---

(١) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها (١/ ٤٥٩) وتاريخ أصبهان لأبي نعيم (١/ ٣٧٨) ورواه الترمذي مرفوعاً بإسناد ضعيف (٢٦٨١).

(٢) تلبيس إبليس (ص/ ٢٨٣).

(٣) [المجادلة: ١٩].



وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَى وَغَفَلَ وَسْوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ»(١).

فالذكرُ في الدنيا نافعٌ، وللبلاءِ دافعٌ، ولأهله في القيامة رافعٌ وشافع، وقد علَّمنا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نذكرَ اللهَ في كثيرٍ من المَواطنِ والأحوالِ حتى نسلمَ من أذيةِ الشيطان، ففي الذِّكرِ العصمةُ والرعايةُ والحفظُ والكفاية.

ومن الوسائلِ النافعةِ في مدافعةِ وساوسِ الشيطانِ والبعدِ عن اتباعِ خُطواتِه: الاستعاذةُ بالله منه، وقد كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»(٢).

وأمرنا اللهُ بالتعوُّذِ من حُضورِ الشيطانِ ومن همزاتِه وخطَرَاتِه فقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾(٣).

---

(١) الزهد لأبي داود (٣٣٧).

(٢) وتمامه: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هَمْزُهُ وَنَفْخُهُ وَنَفْثُهُ؟ قَالَ: "أَمَّا هَمْزُهُ، فَهَذِهِ الْمُوتَةُ الَّتِي تَأْخُذُ بَنِي آدَمَ، وَأَمَّا نَفْخُهُ فَالْكِبْرُ، وَأَمَّا نَفْثُهُ فَالشِّعْرُ". أخرجه أحمد (٢٥٢٢٧) وحسنه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند (٢٥٢٢٧).

(٣) [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

وأمرَ بالتعوُّذِ من نزغَاتِ الشيطانِ فقال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾[١]، وَمَعْنَىٰ قولِه: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ أي: يُصِيبَنَّكَ وَيَعْرِضُ لَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ وَسْوَسَةٌ بِمَا لَا يَحِلُّ. ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ أَيِ: اطْلُبِ النَّجَاةَ مِنْ ذَلِكَ بِاللهِ. فأمَرَ تعالىٰ أنْ تُدفعَ الْوَسْوَسَةُ بِالِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَالِاسْتِعَاذَةِ بِه[٢].

فالاستعاذةُ المصحوبةُ بالصدقِ وحضورِ القلبِ هي أنفعُ الوسائلِ للسلامةِ من شرِّ الشيطانِ وغوائلِه، والنجاةِ من وساوسِه وحبائله، وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ لِتِلْمِيذِهِ: «مَا تَصْنَعُ بِالشَّيْطَانِ إِذَا سَوَّلَ لَكَ الْخطَايَا؟ قَالَ: أُجَاهِدُهُ. قَالَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: أُجَاهِدُهُ. قَالَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: أُجَاهِدُهُ. قَالَ: هَذَا يَطُولُ، أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِغَنَمٍ فنبحك كلبها ومنع مِنَ الْعُبُورِ مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: أُكَابِدُهُ وَأَرُدُّهُ جَهْدِي. قَالَ: هَذَا يَطُولُ عَلَيْكَ وَلَكِنِ اسْتَغِثْ بِصَاحِبِ الْغَنَمِ يَكُفُّهُ عَنْكَ»[٣].

---

(١) [الأعراف: ٢٠٠].

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٤٨).

(٣) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٤٨).

وقد حثَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التعوُّذِ من حبائلِ الشيطانِ وشرورِه في الصباحِ والمساءِ وقبلَ النومِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: قُلِ: «**اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ. قَالَ: قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»(١).

وكان مِنْ دعاءِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٧٩٦١) والبخاري في "الأدب المفرد" (١٢٠٢) والترمذي (٣٣٩٢) وصححه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٥٢٣) وأبو داود (١٥٥٢) والنسائي (٥٥٣١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٢) عَنْ أَبِي الْيَسَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ معركةَ الإنسانِ مع الشيطانِ مستمرةٌ حتىٰ عند سكراتِ الموت، والمعصومُ من عصمَه اللهُ.

وممَّا يُعينُ المسلمَ علىٰ مُدافعةِ كيدِ الشيطانِ أنْ يتخيَّرَ الصُّحبةَ الصالحةَ ويَجتنبَ أصدقاءَ السوءِ فإنهم أعوانٌ للشيطانِ علىٰ الصالحين من بني الإنسانِ، ولذلك بيَّنَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الشخصَ إذا ابتعدَ عن الصالحين سُهل علىٰ الشيطانِ اصطيادُه، وأمكنَه التسلطُ عليه واقتيادُه، كما يسهلُ علىٰ الذئبِ اصطيادُ الشاةِ التي تنِدُّ عن القطيعِ وتبتعدُ عن الراعي: قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ**»(١) وقولُه: «**القاصية**»، أي: الشاةَ البعيدةَ عن القطيعِ لِبُعْدِها عن راعيها، فعليك بالصحبةِ الطيبةِ وإياك والتفرُّدَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الْقَاصِيَةَ وَالشَّارِدَةَ،**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٥١٤) وأبو داود (٥٤٧) والحاكم في المستدرك (٧٦٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠١) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



وَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَامَّةِ، وَالْجَمَاعَةِ وَالْمَسَاجِدِ»(١).

يريدُ أنَّ الشيطانَ يتسلَّطُ علىٰ الخارجِ عن الجماعةِ وأهلِ السُّنةِ، وهم المتمسِّكون بالسنةِ وما كان عليه الصحابة، وإياك وصحبةَ السوءِ فإنها مِنْ جُندِ إبليسَ.

وكما أنَّ شيطانَ الجن يضرُّ ويؤذي فكذلك شيطانُ الإنسان يضرُّ ويُغوي، ولذلك قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، اسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ». قال: يَا رَسُولَ اللهِ وَلِلْإِنْسِ شَيَاطِينُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»(٢).

وكلَّما كان العبدُ مُحَقِّقًا للعبوديةِ للهِ جَلَّ وَعَلَا مُتمسِّكًا بدينِه كان علىٰ الشيطانِ صعبَ المنال، قال الله الكبيرُ المُتَعَال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠٢٩) والطبراني في الكبير (٣٤٤) وحسنه لغيره شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥٤٦) والبزار في مسنده (٤٠٣٤) والسنن الكبرىٰ للنسائي (٧٨٩١).

(٣) [الحجر: ٤٢].

وبيَّنَ تعالىٰ أنَّ سلطانَ الشيطانِ علىٰ المؤمنين ضعيفٌ، وإنما يقوىٰ علىٰ من تولاه، وصار عبدًا لشيطانِه وهواه، أما المؤمنُ النَّقي، والمتوكلُ التَّقي، فإنَّ اللهَ يحفظُه ويَحميه، ويَنصرُه ويُؤويه، فلا يتسلَّطُ عليه الشيطانُ كما يتسلّطُ علىٰ العصاةِ الغافلين، قال تعالىٰ عن الشيطانِ الرجيم: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[1].

اللهم إنا نعوذُ بك من وساوسِ الشيطان وخطراته، ونعوذُ بك من اتباعه في خطواته، اللهم اعصمنا من الشيطان الرجيم.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم انصُرْ من نصَر دينَك وكتابَك وسنةَ نبيِّك محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، اللهم انصرْ إخواننا المسلمين المستضعفين في كلِّ مكان، اللهم كنْ لهم ناصرًا ومعِينًا وحافظًا ومؤيدًا، اللهم احفظهم بما تحفظُ به عبادَك الصالحين.

---

(١) [النحل: ٩٩-١٠٠].

اللهم آمِنَّا في أوطانِنا، وأصلحْ أئمتَنا وولاةَ أمورنا، واجعلْ ولايتَنا فيمن خافَك واتَّقاك واتَّبعَ رضاك يا ربَّ العالمين. اللهم وفِّقْ جميعَ ولاةِ أمرِ المسلمين لتحكيمِ شرعِك، واتباعِ سنةِ نبيك محمدٍ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللهم آتِ نفوسَنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللهم إنا نسألُك الهُدىٰ والتقىٰ والعفافَ والغِنىٰ.

اللهم اغفرْ لنا ولوالِدينا ولِلمسلمين والمسلماتِ والمؤمنين والمؤمناتِ الأحياءِ منهم والأموات.





١٣ - خطبة عيد الأضحى بعنوان:
[الوصية بالتقوى وأعمالِ عيد الأضحى]

الحمدُ للهِ الذي شرعَ في الأعيادِ الفرحَ والسّرور، ووعدَ أهل طاعتِه بالثوابِ وعظيمِ الأجور، أحمدُه عددَ ما لبَّىٰ الحجيجُ وكبَّروا، وأشكرُه علىٰ نعمِه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصرُ.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، لا إلهَ للخلائقِ سِواه، ولا صادعَ لِمَا عَدَّله وسوَّاه، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، خيرُ من لبّىٰ وكبّر، وأكرمُ من ضحَّىٰ وذبح الهديَ ونَحَر، صلواتُ الله وسلامُه عليه صلاةً نُسقىٰ بسببِها من نهرِ الكوثر.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ لا إله إلا اللهُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ ولله الحمد.

اللهُ أكبرُ عددَ ما ذكر الله ذاكرٌ واستغفر، اللهُ أكبرُ كلّما لبّىٰ حاجٌّ وكبّر، والحمدُ للهِ علىٰ نَعمائه التي لا تُحصر، وعلىٰ آلائه التي لا تُقدَّر، والحمدُ للهِ جعلَ يومَ العيدِ فرحًا وسرورًا وثوابًا، فهو في كل سنة يَتكرَّر.

الله أكبرُ كلّما ردّدتُها ... أحسستُ أنّ الشَّهدَ في شفتيَّ

الله أكبرُ كم أزاحتْ كُربةً ... كم أسعدتْ في العالَمين شقيًّا

أما بعد: فإِنَّنا فِي يَومٍ عَظِيمٍ وَعِيدٍ كَرِيمٍ، خَتَمَ اللهُ بِهِ أَيَّامًا مَعلُومَاتٍ، وَتَوَّجَ بِهِ لَيَالِيَ مُبَارَكَاتٍ، إِنَّهُ أَفضَلُ الأَيَّامِ عِندَ اللهِ وَأَعظَمُهَا، إِنَّهُ يَومُ الحَجِّ الأَكبرِ وَيَومُ النَّحرِ، تَتلُوهُ أَيَّامٌ ثَلاثَةٌ مَعدُودَاتٌ، هِيَ أَيَّامُ أَكلٍ وَشُربٍ وَذِكرٍ للهِ عَزَّوَجَلَّ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَعظَمُ الأَيَّامِ عِندَ اللهِ يَومُ النَّحرِ ثُمَّ يَومُ القَرِّ**»(١).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَومُ عَرَفَةَ وَيَومُ النَّحرِ وَأَيَّامُ التَّشرِيقِ عِيدُنَا أَهلَ الإِسلامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكلٍ وَشُربٍ**»(٢). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَيَّامُ التَّشرِيقِ أَيَّامُ أَكلٍ وَشُربٍ وَذِكرٍ للهِ**»(٣).

اللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ وَللهِ الحَمدُ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٠٧٥) وأبو داود (١٧٦٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٣٧٩) وأبو داود (٢٤١٩) والترمذي (٧٧٣) وصححه الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٤٠٩) عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (١١٤١) عَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَقَد شَرَعَ اللهُ لَنَا - مَعشَرَ المُسلِمِينَ - في سَابِقِ أَيَّامِنَا ولاحِقِهَا عِبَادَاتٍ جَلِيلَةً، وَجعَلَ لَنَا شَعَائِرَ عَظِيمَةً، وَلَقَد حَثَّنَا تعَالىٰ وَحَضَّنَا عَلَىٰ تَعظِيمِها، وَجعَلَ ذَلِكَ عَلامَةً عَلىٰ تَقوَىٰ القُلُوبِ فَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾[1].

وَفي إِضَافَةِ التَّقوَىٰ إِلىٰ القُلُوبِ بَيَانُ أَنَّهَا مَحلُّهَا وَمَنشَأُهَا، وَكَفَىٰ بِهَذَا حَثًّا عَلىٰ إِصلاحِهَا وَالاهتِمَامِ بها؛ قَالَ النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «التَّقوَىٰ هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[2].

وَقَالَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَلا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلبُ»[3].

فلنحرصِ علىٰ صلاحِ قلوبِنا وإزالةِ ما فيها من شوائبَ وأمراض، فإنها دليلٌ وعونٌ على صلاحِ الظاهرِ، ومِنْ أعظمِ

---

(١) [الحج: ٣٢].

(٢) أخرجه أحمد (٧٧٢٧) ومسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنۡهُ.

(٣) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنۡهُ.

ما يُصلحُ القلوبَ، بل هو أوجبُ الواجبات؛ توحيدُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[1].

فالتوحيدُ هو أساسُ الأمنِ والسعادة، وسببُ الفلاحِ والرِّيادة، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢﴾[2]. ولم يلبسوا أي: يَخْلِطوا إيمانَهم بشِرْك؛ كما فسَّرها النبيُّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الصحيحينِ؛ دخلَ أعرابيٌّ علىٰ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ الأعرابي: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا، فَلَمَّا وَلَّىٰ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ هَذَا»[3].

---

(١) [الذاريات: ٥٦].

(٢) [الأنعام: ٨٢].

(٣) صحيح البخاري (١٣٩٧) ومسلم (١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وَللهِ الحَمدُ.

وَمِن تَعظِيمِ شَعَائِرِ اللهِ أَنْ لا يَكتَفِيَ المُسلِمُ بِصَلاحِهِ فِي نَفسِهِ حَتَّىٰ يحرصَ علىٰ صلاحِ غَيرِهِ، فَيَأمُرَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَىٰ عَنِ المُنكَرِ، وَيَدعُوَ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّهِ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن رَأَىٰ مِنكُم مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لم يَستَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لم يَستَطِعْ فَبِقَلبِهِ، وَذَلِكَ أَضعَفُ الإِيمَانِ»[1].

وَمِن شَعَائِرِ اللهِ المُعَظَّمَةِ مَا شَرَعَهُ تَعَالىٰ لَنَا فِي هَذَا اليَومِ مِن هَذِهِ الصَّلاةِ العَظِيمَةِ، وَمَا يَتلُوهَا من ذَبحِ الضَّحَايَا وَنَحرِهَا، قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾[2].

وَعَن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَومَ النَّحرِ فَقَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبدَأُ بِهِ فِي يَومِنَا هَذَا أَن نُصَلِّيَ ثُمَّ نَرجِعَ فَنَنحَرَ، فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ فَقَد أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ عَجَّلَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ»[3].

---

(١) رواه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) [الكوثر: ٢].

(٣) رواه البخاري (٩٦٨) ومسلم (١٩٦١).



أَلا فَضَحُّوا - أَيُّهَا المُسلِمُونَ - شُكرًا للهِ وَاقتِدَاءً بِسُنَّةِ نَبِيِّكُم، وَكُلُوا مِن ضَحَايَاكُم وَأَهدُوا وَتَصَدَّقُوا وَادَّخِرُوا، وَاختَارُوا مِنَ الضَّحَايَا أَطيَبَهَا وَأَسمَنَهَا وَأَغلاهَا ثَمَنًا وَأَجمَلَهَا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالىٰ طَيِّبٌ لا يَقبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، سَمُّوا اللهَ وَكَبِّرُوا، ومَن كَانَ مُحسِنًا لِلذَّبحِ فَلْيُبَاشِرْهُ بِنَفسِهِ، وَمَن كَانَ لا يُحسِنُ فَليوكِّلْ غيرَه والأفضلُ أنْ يَحضُرَ ذَبِيحَتَهُ.

أَخلِصُوا للهِ وَاطلُبُوا مَا عِندَهُ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٧﴾[1]، وَإِيَّاكُم وَالمَعِيبَةَ بِأَحَدِ عُيُوبٍ أَربَعَةٍ عَدَّهَا إِمَامُكُم عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: «أَربَعٌ لا يُجزِينَ في الأَضَاحِي: العَورَاءُ البَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالمَرِيضَةُ البَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالعَرجَاءُ البَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالعَجفَاءُ الَّتي لا تُنقِي»[2].

---

(١) [الحج: ٣٧].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٧١٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٢٩) واللفظ له، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٨٦) وذكر أنه رواه أحمد والأربعة أيضًا.

وَاعلَمُوا أَنَّهُ لا يُجزِئُ مِنَ الإِبِلِ إِلَّا مَا تَمَّ لَهُ خمسُ سِنِينَ، وَلا مِنَ البَقَرِ إِلَّا مَا تَمَّ لَهُ سَنَتَانِ، وَلا مِنَ المَاعزِ إِلَّا مَا تَمَّ لَهُ سَنَةٌ، وَلا مِنَ الضَّأنِ إِلَّا مَا تَمَّ لَهُ سِتَّةُ أَشهُرٍ، وَالشَّاةُ الوَاحِدَةُ تُجزِئُ عَنِ الرَّجُلِ وَأَهلِ بَيتِهِ، وَلا يُبَاعُ مِنهَا شَيءٌ وَلا يُعطَىٰ الجَزَّارُ أُجرَتَهُ مِنهَا، وَوَقتُ الذَّبحِ مُمتَدٌّ مِن بَعدِ صَلاةِ العِيدِ إِلىٰ غُرُوبِ شَمسِ اليَومِ الثَّالِثِ مِن أَيَّامِ التَّشرِيقِ.

وَيَحرُمُ صِيَامُ أَيَّامِ التَّشرِيقِ، فَكُلُوا فِيهَا وَاشرَبُوا، وَعَظِّمُوا شَعَائِرَ اللهِ بِالإِكثَارِ مِن ذِكرِهِ بِالتَّكبِيرِ وَالتَّهلِيلِ وَالتَّحمِيدِ، فِي أَدبَارِ الصَّلَوَاتِ وَفِي جَمِيعِ الأَوقَاتِ، وَبِرُّوا وَالِدِيكُم، وَأَحسِنُوا إِلىٰ جِيرَانِكُم وَفُقَرَائِكُم، وَاجتَنِبُوا المَعَاصِيَ والمُنكَرَاتِ.

جَمِّلُوا عِيدَكُم بِإِفشَاءِ السَّلامِ وَإِطعَامِ الطَّعَامِ وَصِلَةِ الأَرحَامِ، تَصَافَحُوا وَتَصَالَحُوا، وكونوا إِخوَانًا مُتَحَابِّينَ.

تقبل اللهُ مِنَّا ومنكمْ صالحَ العمل، ورزقنا وإياكم شكرَ النعم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمدُ لله مُعيدِ الجُمَعِ والأعياد، وجامعِ الناسِ ليومٍ لاريبَ فيه إنَّ اللهَ لا يُخلفُ الميعاد.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له ولا أنداد، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ العباد، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وصحبِهِ ومن تبِعه بإحسانٍ إلىٰ يومِ المعاد، وسلَّمَ تسليماً يتكاثر كلَّ وقتٍ ويزداد.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إلهَ إلا الله، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمد.

سنةُ التكبيرِ باقيةٌ إلىٰ غروبِ شمسِ يومِ الثالث عشر، قَالَ مَالِكٌ: «وَيُكَبِّرُ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْعَبِيدُ وَالصِّبْيَانُ وَأَهْلُ الْبَادِيَةِ وَالْمُسَافِرُونَ وَكُلُّ مُسْلِمٍ صَلَّىٰ فِي جَمَاعَةٍ، أَوْ وَحْدَهُ، وَتُسْمِعُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا التَّكْبِيرَ، كَانَتْ فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ فِي بَيْتِهَا»(١).

---

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل (٢/ ٥٨٢).

وأُوصي النساءَ أنْ يتذكَّرْنَ قَولَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا صَلَّتِ المَرأَةُ خمسَهَا، وَصَامَت شَهرَهَا، وَحَصَّنَت فَرجَهَا، وَأَطَاعَت زَوجَهَا، قِيلَ لها: ادخُلِي الجَنَّةَ مِن أَيِّ أَبوَابِ الجَنَّةِ شِئتِ**»(١).

وقولَ الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾(٢).

وتُستحبُّ الصدقةُ في هذا اليومِ، فقد كان من وصايا النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يومِ العيدِ أنَّه أمرَ النساءَ بالصدَقةِ، كما في حديثِ ابنِ عباسٍ حتىٰ قال الراوي: «فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ الْفَتَخَ وَالْخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦١) وابن حبان في التقاسيم والأنواع (٦٢١) والطبراني في الأوسط (٤٥٩٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

(٢) الأحزاب: ٣٢-٣٣.

(٣) رواه البخاري (٤٦١٣) ومسلم (٨٨٤).

كما يستحبُّ إظهارُ البشرِ والسرورِ، والتزاورُ بين الأقاربِ والأصدقاء، وإدخالُ الفرحِ والسرورِ على الضعفاء والمُعسرين والمرضى والصغارِ وكبار السن وغيرهم من المسلمين.

تقبلَ اللهُ طاعتكُم وجعلَكُم في خيرٍ وعافيةٍ وجميعَ من تُحبِّون، وأسألُ اللهَ أنْ يبارك في أعيادنا وأيامنا وأولادنا وأرزاقنا، وأن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. وصلى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين(١).



(١) خطبة العيد هذه منقولة من (ينابيع المنبر) مجموعة خطب ومقالات (المجموعة الأولى ص١٧٥ بترقيم الشاملة آليا). مع تعديل وإضافة وحذف.

تم - بحمد الله - الجزءُ الثاني من هذه السلسلةِ (زاد المنابر)، ويليه الجزءُ الثالث بإذن الله تعالى، وأوّلُه خطبةُ جمعةٍ بعنوان:

[القولُ البنَّاء في أهميةِ تربيةِ الأبناء].

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

فهرس الكتاب